الشيوخ المودرن
وصناعة التطرف الدينى

اسم الكتاب : الشيوخ المودرن .. وصناعة التطرف الديني
الكاتب : د. محمد فتوح - باحث أكاديمي وكاتب
الطبعة : الأولى ٢٠٠٦
الناشر : مكتبة مدبولي ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤
البريد الإلكتروني : www.madboulybooks.com
Info@madboulybooks.com
الكمبيوتر : 4F للكمبيوتر - تليفون/فاكس : ٥٤٢٤٦٣٠
E-mail: gamal4f@hotmail.com
الطباعة : بصمتكو للطباعة والتجليد (أحمد محمود)
تليفون : ٧١٨١٨٧١ - موبايل : ١٢٤٦١٧٣٤٠
رقم الإيداع : ١٩٤٤٤ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي : ١ - ٥٩٤ - ٢٠٨ - ٩٧٧

د. محمد فتُوح

الشيوخ المودرن
وصناعة التطرف الدينى

- اختلاف الفقهاء يشيع البلبلة ويشعل الفتن .
- الفكر الإرهابى وتخدير العقل العربى .
- لهذه الأسباب يكرهون ويقهرون النساء .
- إمامة المرأة للصلاة .. حق لها .
- فصل الدين عن الدولة هو الحل .
- بنك الطعام .. إهانة وكلمة حق يراد بها باطل .
- المتأسلمون .. هم سبب تخلف المرأة .

تقديم
د. منى حلمى

الناشر
مكتبة مدبولى
2006

المحتــــــويات

صفحة | الموضـــــــوع

■ المرأة والثقافة الذكورية :

إهداء

إلى نموذج فريد من النساء .. إلى امرأة واحدة وحيدة متمردة .. متفردة .. جريئة .. حرة .. مبدعة .. ساعدتنى أن أكون نفسى ، وألا أهدر حياتى فى تفاهات ، وكذب هذا العالم .. إلى امرأة وقفت بجانبى ، فى كل خطوة أخطوها من حياتى ..

إلى والدى « الشيخ فُتُوح » الذى وفر لى مناخاً من الحرية بفطرته السليمة ، وطبيعته الطيبة .. وأول مَنْ علمنى ، ألا أفعل شيئاً ، أو أؤمن بشىء ، إلا إذا تناغم مع قناعات عقلى ..

إلى أمى « عزيزة » التى علمتنى معنى الطموح .. وكانت تدخر من مالها الخاص القليل ، لتشترى لى طلباتى الصغيرة ..

إلى أختى « هويدا » التى يتسع عقلها وقلبها إلى أن تتقبلنى بكل مميزاتى وعيوبى ، ودائماً تبادر بمساندتى فى كل المواقف الصعبة .. والتى رغم سيادة مناخ التجارة بشكليات الدين ، وضغط المناخ المتأسلم المتعصب المتطرف ، تواجه العالم « سافرة » وتسبح وحدها ضد التيار ..

إلى ملايين القطيع الذين أقنعونى بضرورة الاختلاف والثورة عليهم ..

إليهم جميعاً أهدى هذا الكتاب

وأولاً ، وأخيرًا ، إلى الثمرة المحرمة ، التى تخاف الأنظمة المستبدة التسلطية ، أن نعرف مذاقها ، فنتشبث بطعمها الحلو الذى من المستحيل نسيانه .. وحينئذ لن يكون لها ولحلفائها فى أى مكان ، على الأرض ، « وجود » ....

إلى « الحرية » ....

بدونها تصبح الحياة أثقل الأعباء ..

ومعها تتدفق لذة كل الأشياء .

د. محمد فتوح

شتاء ٢٠٠٥

مقدمة

■ حين يأتى الأمر ، إلى الكتابة ، فأنا صعبة الإرضاء .. مئات الكتب التى تُهدى إلىّ ، لا أستطيع تكملة جملة واحدة ، فألقى بها على رفوف « الكتب الخالية من الكتابة » .

كُتاب كبار ، مشاهير .. كاتبات يبروزهن الإعلام ، ويحملن مناصب « مرموقة » فى الجرائد والمجلات والمؤسسات الصحفية ، وأقرأ ما تكتبه النساء المبروزات ، وما يكتبه الرجال المبروزين ، فأحس بالغثيان ، والاكتئاب ، وألقى بالكتابات على رفوف « الكتب الخالية من الكتابة » .. جرائد .. كلام معروف .. كلام مستهلك .. كلام مكرر .. كلام كاذب .. كلام يرقع الثوب الممتلىء بالثقوب .. كلام ثقيل الظل .. كلام محنط خالى من حرارة الصدق ، وحيوية الاختلاف عن أسراب البشر .. كلام « ماشى جنب الحيط » .. كلام مطفأ من إشعاع تفرد الشخصية .. كلام مقولب منمط ، يلهث لإثبات الخضوع ، وقيم عصور العبودية .. كلام يرسخ كل الموروثات والثوابت، والمسلمات ، التى جعلت مجتمعاتنا العربية الإسلامية ، فى ذيل التخلف ، وجعلتنا عبئاً على البشرية التى تكتشف وتبدع وتتقدم ، كل يوم ، بينما نحن نائمون فى العسل ، لا نفعل شيئاً غير أن نشتم المجتمعات المتقدمة ، ونتهمها بالكفر والإنحلال والإباحية واستهداف عقائدنا، ولا نمارس إلا الطقوس الشكلية للدين بشكل متعصب، متطرف ، ونكره الحياة ، لذلك نحن مجتمعات تعيش ثقافة الموت ، وحضارة القبور ، ولا يعنيها من قريب أو من بعيد ، كلمات مثل الحرية ، العدالة ، التقدم ، الإبداع ، البهجة والاستمتاع .

حين يأتى الأمر ، إلى الكتابة ، وإلى من يكتب ، وإلى من يكتبون ، فأنا ببساطة لا أقرأ ، حتى أحافظ على صحتى النفسية ، وعلى عافية قلمى ، وعلى عدم انتمائى الجميل .

لكننى حين قرأت كتاب د. محمد فتوح ، شدنى من أول كلمة ، حتى آخر كلمة .

إنها الكتابة التى تستحق أن تمنح شرف اللقب ، والسبب بسيط جدًا .. وصعب جدًا .. أنها ليست كلمات ، بقدر كونها صدمات متتالية ، يوجهها د. محمد إلى « العقل العربى » الذى انتهت صلاحيته ، ونحتاج عقلاً عربياً جديدًا ، للنساء والرجال على حد سواء .

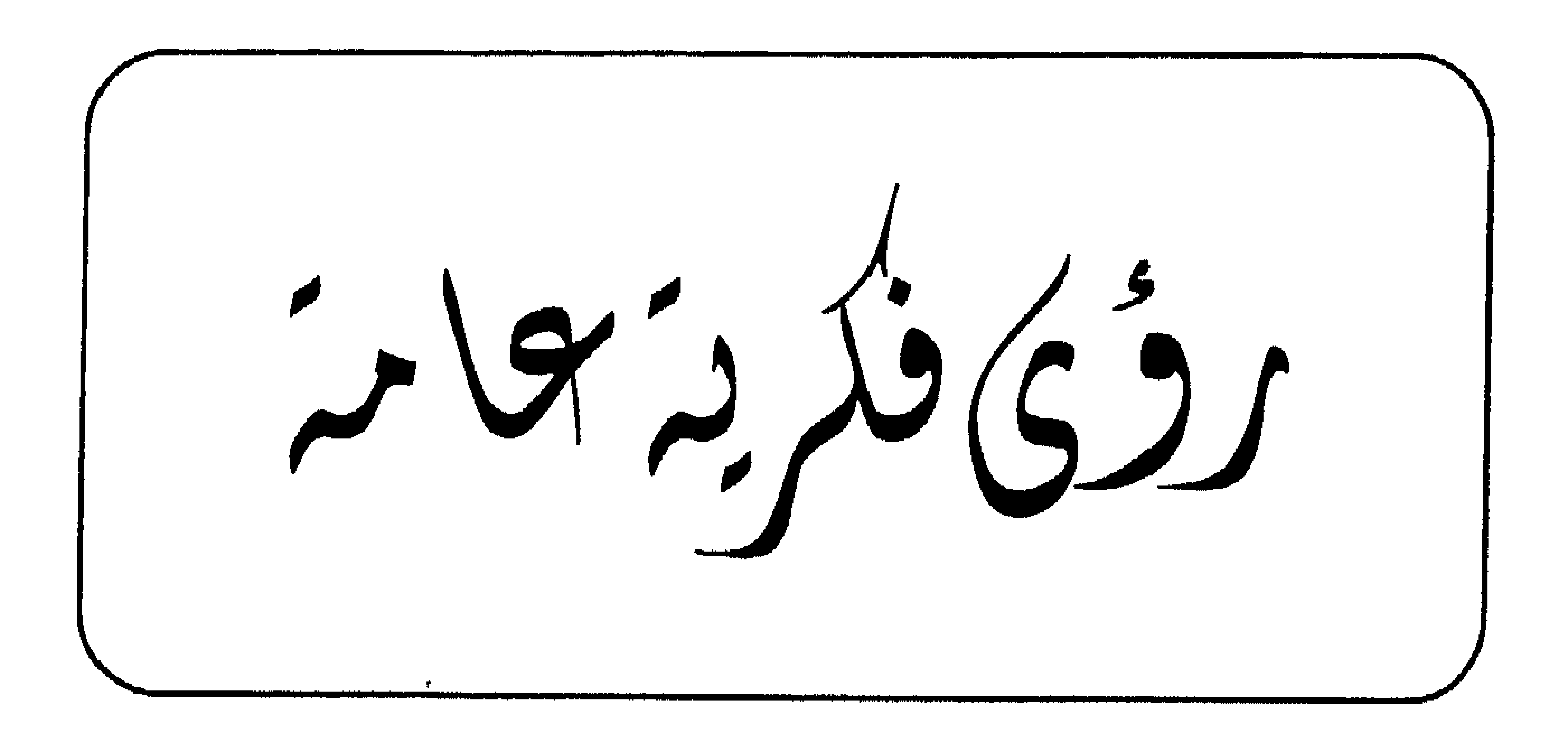
كل مقال ، صفعة على وجه الزيف الذى نعيشه .. كل موضوع يدخل إلى أرض مزروعة بالألغام ، دون خوف ، وبإيمان راسخ أن ما يكتبه ، هو بمثابة صرخة احتجاج مدوية ، ترفض التفرقة بين النساء والرجال ، تفضح المتاجرة باسم الدين ، وتكشف اختراق الفكر الدينى المتعصب ، المتطرف ، الإرهابى ، لكل مجالات المجتمع ، تمهيدًا لخلق دولة دينية ، وإعادة خلافة إسلامية لا تغيب عنها الشمس .

بين كل صفحة من صفحات الكتاب ، قنبلة تنفجر فى وجه الزيف ، والخوف ، ورغبة تقليد القطيع .. وطاعة الموروثات دون تفكير .

وهى الأسباب الرئيسية ، للحالة المزرية التى وصلنا إليها ، سياسياً ، وثقافياً ، وأخلاقياً ، وحضارياً .

إنه كتاب تفخر به المكتبة العربية ، لمؤلف ورجل نادر الوجود ، فى مجتمعاتنا العربية الإسلامية ، كتاب ، يشرفنى ويسعدنى ، أن أضع اسمى عليه .

د. منى حلمى


رؤى فكرية عامة

١ - ليس قضاء الله وقدره .. ولكنه انعدام الضمير

■ منذ أيام انهارت إحدى العمارات بالإسكندرية .. يوم بعد يوم كان عدد الضحايا يتزايد .. نساء ورجال وأطفال سرقت حياتهم وأحلامهم .. لحظة فاصلة عبرت بهم من الحياة إلى الموت .. لحظة واحدة توقفت عقارب الزمن .. خرت على إثرها الحوائط ، وتمايلت الأعمدة وتهاوت فى صوت مدوى احتجاجاً على حماقة البشر .

طوابق ثلاثة مخالفة سببت حملاً زائدًا فانهار العقار على سكانه . قبض على الشخص المسئول عن العمارة ، قال إنه فقط يسير ويشرف على النواحى المادية الخاصة بالعقار ، أدل على المالك الحقيقى ، ووجهت إليهما عدة اتهامات منها القتل الخطأ والإهمال وغيرهما . كالعادة وفى مكان الحادث تواجد المسئول الكبير الذى أشاد بروح التعاون والتكاتف والدعم وقيمة التضامن التى يظهرها أبناء الشعب المصرى فى مثل هذه الكوارث ، ثم أبدى أسفه على أرواح الضحايا ، وأنهى كلامه معلقاً أنه قضاء الله وقدره .

نفس الأكلشيهات ونفس التعليقات التى يرددها ويكررها كثير من المسئولين فى مثل هذه الظروف .. قضاء الله وقدره .. إنها إرادة الله .. هكذا أوحى إلينا هذا المسئول أن انهيار العمارة وقتل هذا العدد الكبير من الضحايا إنما يعود فى جانب كبير منه إلى قضاء الله وقدره .

إن هذا الاتجاه فى تفسير الحوادث يعد امتدادًا لتيار الأسلمة الشكلية الذى انتشر واستشرى فى العقود الأخيرة .. إنه نوع من

التبريرات الواهية للتملص من المسئولية والتهرب من تحمل الأخطاء ، إنهم يزايدون باسم الدين لإخفاء الفساد الذى هو السبب الحقيقى وراء هذه الكوارث ولامتصاص غضب الناس والتهوين من فداحة هذه الكوارث .

نعم إننا يمكن أن نتحدث عن القضاء والقدر ، ولكن بعد أن تُسَد كل الثغرات والمنافذ التى يتسلل منها هذا القضاء وهذا القدر .. إن ترديد مثل هذه العبارات يعبر عن عقلية غير علمية وغير قادرة على مواجهة الأزمات والمشاكل ، فبدلاً من البحث عن الأسباب والعوامل الموضوعية التى تكمن وراء الحادثة أو الظاهرة للوصول إلى الحلول الناجعة لها ، يتم التذرع بالقضاء والقدر لإخفاء حالة الفساد لمسئولى المحليات والتغطية على الجشع والطمع وإنعدام الضمير لملاك العقارات .

ألا يعلم هذا المسئول أن أغلب مهندسى الأحياء يمثلون بؤرًا للفساد ، ففى وجودهم وتحت أعينهم تتم المخالفات وهم يلتزمون الصمت حيالها مقابل مبالغ مادية متفق عليها مع مالك العقار لتمرير هذه المخالفات على حساب الضحايا من البشر الأبرياء . ألا يدرى هذا المسئول أن التباطؤ فى تنفيذ الإزالة أو المخالفات على اختلافهما هو السبب الرئيسى فى حدوث مثل هذه الكوارث . إن كثيرًا من المسئولين لا يتحدثون عن الضوابط القانونية وسرعة تنفيذها إلا عندما تقع الكارثة ، ثم بعد ذلك يتراخى الجميع ، ويروحون فى ثبات عميق لا يوقظهم منه إلا دوى كارثة أخرى .

إن هناك المئات بل الآلاف من المخالفات القانونية الخاصة بالبناء وهى كالقنابل الموقوتة التى تهدد بالانفجار من حين لآخر ، لتحصد أرواح

الأبرياء ، ولتبرهن على حالة الغيبوبة التى يروح فيها كثير من المسئولين بعد كل حادثة . هل أصبحت أرواح الناس رخيصة إلى هذا الحد ؟!

أمن أجل حفنة من المال تضيع وتهلك أرواح هؤلاء البشر ؟!

لن تكون عمارة الإسكندرية هى الحلقة الأخيرة فى مسلسل الانهيارات ، بل ستنهار عمارات أخرى ، فى أماكن أخرى ، لنفس الأسباب ونفس الملابسات ، وسيطلع علينا المسئول الكبير ، ويأسف لأرواح الضحايا ، ويعلل ذلك للمرة الألف بالقضاء والقدر . وسنكرر نحن بدورنا ، ولن نمل التكرار ، إنه ليس القضاء والقدر ، ولكنها الذمم الخربة وإنعدام الضمير .

●■■■●

٢ - لولا ثورة يوليو، ما كنت تعلمت !

٢٣ يوليو ٢٠٠٥

■ تمر اليوم الذكرى الثالثة والخمسون لثورة مصر ، ضد الاحتلال البريطانى وفساد القصر . وإن كان لى ، أن أقول كلمة من القلب إلى ثورة الضباط الأحرار فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كلمة واحدة ، تلخص علاقتى الشخصية بالثورة ، دون أدنى تقييم أيديلوچى .. أقول إننى لولا ثورة يوليو التى تبنت مبدأ التعليم المجان ، لكنت الآن فى قريتى الدراكسة بالمنصورة ، جالساً مع أقاربى وأصدقائى نلعن الفقر الذى حال بيننا وبين التعليم . فكيف لأسرة فقيرة لديها عدد كبير من العيال ، والأب يعمل إمامًا لجامع القرية ، وهو عمل لا يؤهله لدفع مصاريف ومستلزمات التعليم .. والأم ، تساعد بتربية الفراخ والكتاكيت على سطح البيت ثم بيعها فى السوق .

بفضل إصرار ثورة يوليو ، على التعليم بالمجان ، تعلمت.، ودخلت الجامعة ، وأهلنى تفوقى إلى تكملة الماچستير ثم الدكتوراه .

وعلى مدى السنوات ، لم أكن طرفاً فى التقييمات السياسية والأحكام الأيديولوچية ، على ثورة انتشلتنى من الجهل إلى النور .. من انغلاق القرية إلى انفتاح المدينة .. من الإحساس بالظلم إلى الإحساس بالإنسانية .. فأنا الفقير ، المقيم فى المدن الجامعية أجلس جنباً إلى جنب مع الغنى الثرى ، الذى يأتى الجامعة بالعربية الفخمة ، وينفق مصروفاً بذخاً يعطيه له أبوه يومياً ، للتفاخر والتعالى واستعراض الطبقية التى

كانت تحاول ثورة يوليو القضاء عليها ، ووضع معايير بديلة لتقييم الإنسان المصرى .. لا بالفلوس ولا بالعربيات الفخمة ، والملابس الأنيقة والسكن فى جاردن سيتى ومصر الجديدة والزمالك وعضوية الأندية بالدرجة الأولى .. ولكن بالعلم والعمل والتفوق .. كنت فقيرًا ومن أسرة فقيرة ومن قرية فقيرة ، لكننى بفضل ثورة يوليو لم يسألنى أحد أبدًا ، « أنت ابن مين ؟ » .. أو « مين أبوك ؟ » .. أو « ليه بتركب الأتوبيس ؟ » .. أو « ساكن فين ؟ » .

علمتنى ثورة يوليو حتى آخر المشوار .. حافظت على إنسانيتى .. دفعتنى إلى بناء أحلامى وطموحاتى .. وأشعرتنى أننى أنتمى إلى بلد عظيم .. وشعب عظيم .. وجيش عظيم .. أطاحت بفكرة مزمنة تقول بضرورة وجود أسياد وعبيد .. أغنياء لهم الحياة .. فقراء تدوسهم الحياة .. بفضل ثورة يوليو ، « قبيت على وش الدنيا » ، وطلعت من « الحُق اللى كنت عايش فيه » .. (حدود قريتى) .

هذه كلمتى الشخصية ، الحميمة ، التى يحتفظ بها قلبى لثورة يوليو ١٩٥٢ .. أقولها فى ذكراها شكرًا وإمتناناً ..

وفى الوقت نفسه ، أود أن أقول كلمة أخرى ، لثورة فى جانب آخر من الكرة الأرضية ، سبقت ثورة مصر بـ ١٦٣ عاماً . وأقصد بها الثورة الفرنسية ، التى يحتفل الشعب الفرنسى فى ١٤ يوليو كل عام ، بذكراها ، التى رفعت الشعار الثلاثى الشهير : الحرية .. الإخاء .. المساواة ، ومعها يسقط فى اليوم نفسه سجن الباستيل ، رمز القهر والديكتاتورية والاستعباد السياسى والدينى .

ومثلما كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ملهمة للكثير من الثورات وحركات الاستقلال بين جيرانها ، كانت الثورة الفرنسية ، نموذجاً انبهرت به دول العالم . ومنذ ذلك التاريخ ، بدأت فرنسا صفحة جديدة ، من التقدم الإنسانى فى جميع المجالات ، خاصة المجال الثقافى والفنى والفلسفى ، وأصبحت باريس « مدينة النور » نسبة إلى مصابيحها الفكرية التى لا تظلم أبدًا ، وتجدد نفسها أبدًا .. ولا تعترف بالجمود أو الإنغلاق .

ولذلك لم أندهش ، حين علمت أن فرنسا منذ أيام قليلة وقبل احتفال ١٤ يوليو ، ألغت من القانون تعبير شرعى وغير شرعى فى وصف الأطفال . وكانت حيثيات الإلغاء أن هذا التمييز من أيام القوانين النابوليونية والتى ترجع لعام ١٨٠٤ ولم يعد له وجود الآن .. ثانياً ، إن القانون القديم لا يتوافق مع القوانين العصرية الفرنسية التى تحظر التمييز بين الأطفال الذين يولدون داخل الزواج أو خارجه وخاصة فى قضية حساسة مثل توزيع الميراث .. وفى أحدث إحصائية فإن ٤٦٪ من أطفال فرنسا يولدون خارج الزواج . بالإضافة إلى أن القانون القديم النابوليوني يستخدم لغة ذات مفردات دينية أخلاقية وهى شرعى وغير شرعى وهو ما ترفضه فرنسا ، التى تتحدد حركتها محلياً ودولياً بمعايير حقوق الإنسان ، وليس معايير الشرع (الحلال) وغير الشرع (الحرام) . خاصة إذا كان الوضع ، يمس أطفالاً لا ذنب لهم فى الطريقة التى جاؤا بها للحياة .

أرجو أن تكون فرنسا ، بهذا التعديل القانونى نموذجاً يحتذى به ، فى بلاد مازالت تحكمها قوانين لا تمشى مع متغيرات العصر ، ومتغيرات

الحياة وعصر تعثر البشر ، والتغيير للقضاء على الإرهاب الدولى الذى لن ينتهى إلا بإصدار قوانين مدنية مرجعها حقوق الإنسان العادلة بين النساء والرجال والأطفال وليس شرعى وغير شرعى .. فالقانون مهمته إسعاد البشر وليس سجنهم فى قوالب عتيقة تعمل ضد سعادتهم ، وعيد الثورة الفرنسية ١٤ يوليو ١٧٨٩ . وصدق الذى قال .. إن يوليو هو عصر الثورات العظيمة .

● ■ ■ ■ ●

٣ - تنويعات على لحن الصمت العربى

■ دائماً كنت أتساءل ، عن لامبالاة الغالبية فى مجتمعاتنا ، أو عزوفها عن المشاركة الفعلية فى الحياة السياسية ، ومن ناحية أخرى ، نجد أن المجتمع بجميع مؤسساته خاصة الإعلام المقروء ، والمرئى ، والمسموع ، يتنافس فى إبراز ضرورة وأهمية هذه المشاركة للرجال والنساء والشباب ، كلام كثير يُقال عن دلالات المشاركة فى تجديد مسار الحياة السياسية ، فـ « صوت المواطن أمانة » .. والتصويت ليس مجرد حقاً من الحقوق يتمتع به كل مواطن ، وإنما هو أيضاً « واجب وطنى » و « واجب قومى » .. التصويت تأكيد للإنتماء للوطن ، وتدعيم للحقوق المدنية ، وترسيخ لمبدأ الديمقراطية . والتصويت أيضاً هو مشاركة فعالة لتشكيل المستقبل ، وتغيير الحاضر ، وتحقيق الأمنيات ، والأحلام .

وأصبح الحديث عن امتلاك بطاقة انتخابية ، كالحديث عن امتلاك بطاقة شخصية تثبت الوجود ، وتؤكد الهوية ، وترسم خريطة الحقوق والواجبات ، وتمادى البعض ووصف موقف السلبية من الانتخابات ، بأنه « تقصير قومى » و « خيانة وطنية » و « إضرار بالديمقراطية » و « إفساد للتنمية » و « ضرب للإنتماء » و « لامبالاة بمصير الأمة والشعب » .

لا أحد بالطبع يمكنه أن ينكر الأهمية العظيمة ، والدلالات الإيجابية لمشاركة الناس ، فى الحياة السياسية ، هذا من الناحية النظرية ، ولكن للواقع دائماً ، خاصة فى مجتمعاتنا العربية ، وضعاً آخر ، بل مناقضاً فى أغلب الأحيان .

تتصور مجتمعاتنا العربية أن المواطن العربى الذى يعيش حالة مزمنة ، ممتدة المفعول من القهر والسلبية ، سوف يستيقظ صباح يوم الانتخابات ، وقد امتلأ فجأة بروح الحرية والإيجابية .

تتصور مجتمعاتنا العربية أن المشاركة السياسية هى كالعضو الشيطانى الذى ينبت فجأة ، عضو شيطانى لا أصل له ، ولا جذور ، يهاجم الجسد العربى ، ولأنه « شيطانى » ، فلابد أن يكون غريباً عن كل ما تربى عليه المواطن العربى ، ومنفصلاً عن التربة الأم..

منذ الميلاد ، وحتى الموت ، يعيش المواطن العربى حالات متنوعة ، متدرجة من « الصمت » السياسى والاجتماعى ، ومن « السكوت » الفكرى تعتمد أسس التنشئة الاجتماعية العربية ، على مبدأ « الطاعة » و « الموافقة » و « الاستسلام » ، توضع بذور هذه الأسس ، فى البيت الذى يضمن خلق المواطن المشابه للآخرين ، المطيع لأوامر ونواهى الكبار فى الأسرة ، والعائلة ، والمدرسة ، والجامعة ، والعمل والحزب والبرلمان ، والنشاط العام .

إن « عدم المشاركة » ، وليس المشاركة ، هو المبدأ الذى تستهدفه آليات ، وقيم التنشئة فى البيت العربى الصغير ، ألا وهو الأسرة ، والتى هى نواة البيت العربى الكبير ألا وهى الدولة .

إن الطاعة ، وعدم التساؤل ، وعدم النقاش ، والتقليد ، هى « الفضائل » الكبرى التى يجب أن يتمتع بها الأطفال فى الأسرة ، وكذلك المواطنون فى الدولة . والعكس هو الصحيح ؛ إن التمرد والتساؤل والنقاش والإبداع ، هى « الرذائل » الكبرى التى لا يجب أن يتصف بها

الأطفال فى الأسرة ، وكذلك المواطنون فى الدولة ، وللفضائل بالطبع مكافأة ، وللرذائل بالطبع عقابها .

تنسى مجتمعاتنا العربية أن المشاركة السياسية التى تطلبها من المواطنين هى عملية مستمرة متجددة ، لابد أن تبدأ منذ الطفولة فى الأسرة ، تنسى مجتمعاتنا العربية أن المشاركة السياسية فى أى مجتمع ديمقراطى ، هى امتداد طبيعى لجميع أنواع المشاركات الفكرية ، بدءًا بالبيت والمدرسة ، والجامعة ، وعلى جميع المستويات وفى كل مراحل العمر .

كيف يمكن للمواطن العربى الذى منذ ولادته ، لا يقول رأيه فى أى شىء يتحول فى يوم وليلة إلى مشارك بالرأى ؟ كيف للمواطن العربى الذى يعيش فى مجتمعات تحجب الآراء الحرة ، المستقلة ، أو تهمشها ، أن يتمتع برأى حر مستقل ؟ .

كيف فى موسم الانتخابات فقط ، يتنافس الإعلام وتتبارى الأقلام ، فى مدح الحرية ، بينما يقول لنا الواقع إن الإنسان الحر فى المجتمع العربى ، إنسان هو بالضرورة ظاهرة إستثنائية وفردية ، ومحكوم عليه بالبقاء فى الظل ، لا يؤثر فى مجريات الأمور العامة ، وصنع القرار على جميع المستويات .

إن الواقع العربى الذى نعيشه جميعاً ، منذ سنوات طويلة ، رواية مكتوبة لنا سلفاً ، و « الخروج عن النص » مكروه ومحظور .

إن المشاركة السياسية التى نطلبها ، كبداية للإصلاح السياسى ، هى نتيجة تلقائية ، طبيعية ، للمواطن ومواطنة تربت وتشجعت وكوفئت على

« الخروج عن النص » فى كل مراحل العمر ، وعلى جميع مستويات العمل ، والنشاط والحركة .

إذا كنا حقاً نتطلع إلى الإصلاح السياسى ، حيث الكثير من التحديات الداخلية والخارجية ، فعلينا أن نبدأ البداية السليمة ، وبدونها تتعثر التجربة الديمقراطية .

علينا أن نكسر منظومة القهر التى تصاحبنا منذ الميلاد وحتى الموت ، علينا أن نعيد صياغة علاقتنا بالحرية .. فمازلنا رغم كلامنا الجميل عن الحرية ، لا نحولها إلى ثقافة حياتية معاشة ، علينا أن نعى أن المشاركة السياسية ، ليست فقط فرصة عابرة لتشكيل حياة سياسية جديدة ، ولكنها أيضاً فرصة لتشكيل عقل عربى جديد ينبذ ميراث الكبت ، والقهر والخوف .

إن كسر منظومة القهر ، وخلق مناخ الحرية الحقيقية ، هو الضمان الأوحد الراسخ لديمقراطية ممتدة فى جميع أمور الحياة ، وليس فقط فى المشاركة السياسية .

السماء لا تمطر مواطناً حراً له رأى حر فى موسم يعلن أن المواطن ذو الرأى الحر ، ثمرة تجنيها الشعوب التى تعيش الحرية هواء يتنفسه الجميع دون تفرقة ، وليس مجرد شعار أو لافتة من لافتات الدعاية السياسية .

وأعتقد أن هذا ، هو المعنى الأساسى لبداية الإصلاح السياسى ، الذى هو على قمة الأولويات فى الفترة الحالية .

●■■■●

٤ - هل يتوحد العرب فى مواجهة المشكلات البيئية ؟!

■ يبدو أن أحلام وتطلعات العاملين النشطاء فى مجال البيئة ، قد قاربت على التحقق . أو لنكن أكثر تواضعاً ، ونقول إنها على الأقل ، قد أصبحت تمثل بندًا مهماً فى أچندة الإصلاح العربى .

فلقد انتهى المؤتمر العربى الثالث للأمن البيئى ، أهم وأحدث المؤتمرات العربية للبيئة إلى توصيات غير مسبوقة لحماية البيئة العربية ، أساسها تحويل فكرة « المنتدى العربى للبيئة » إلى واقع فعلى ، ترعاه وتشرف على إنجازاته ، وتطوره ، جامعة الدول العربية .

تهدف فكرة « المنتدى العربى للبيئة » إلى تقديم العون اللازم لقيام مشروعات حماية البيئة العربية ، ومشروعات الحفاظ على الموارد العربية ، وتنميتها ، ولأن إقامة هذه المشروعات غير ممكن بدون الإطار النظرى السليم ، فإن فكرة « المنتدى العربى للبيئة » تهدف إلى نشر الثقافة البيئية ، وتدعيم « التربية البيئية » على مستوى جميع القطاعات .

من التوصيات المهمة أيضاً للمؤتمر العربى الثالث للأمن البيئى ، ضرورة صياغة « إستراتيجية عربية جديدة » تحدد كيف يمكن للقطاع الخاص المساهمة فى الإدارة البيئية ، وكيفية دعم المشروعات البيئية ، عن طريق إدخالها فى نظام التأمينات على مشروعات التنمية ، وكيفية تشجيع رأس المال الخاص فى الاستثمار فى مشروعات حماية البيئة ، والحفاظ على الموارد .

كما أوصى الموتمر ، ولأول مرة ، أن يتم تدريس مادة « التشريعات

البيئية » فى كليات الحقوق على المستوى العربى ، مما يصب مباشرة فى تكوين « العقلية البيئية » التى نطمح إليها ، أو « الثقافة البيئية » التى بدونها تصبح كل التوصيات ، حبراً على ورق . ويرتبط بهذه التوصية ، مطالبة المؤتمر ، بضرورة خلق آليات ، أو أدوات قانونية ، تختص فقط بالفصل فى المنازعات البيئية للشركات متعددة الجنسيات . ولم ينس المؤتمر ، أن جزءًا لا يستهان به من مشكلات التلوث البيئى ، أو المشكلات الناتجة عن عدم استخدام تكنولوچيا « صديقة للبيئة » يعود إلى ضعف « تقييم » المشروعات البيئية ، والاستهانة بتقديم دراسات كاملة عن المردود السلبى ، والإيجابى لإنشاء المشروعات الاقتصادية ، ولذلك جاءت التوصية بالالتزام بإعادة تقييم المشروعات البيئية و « توحيد » معايير التقييم بين الدول العربية . وأعتقد أن هذا منطقى ، فليس من المعقول ، ونحن نتكلم عن « المنتدى البيئى » الذى سيشمل كل البلاد العربية ، ونتكلم عن « الاستراتيجية البيئية » التى ستغطى البلاد العربية جميعها ، أن يحدث التخبط فى المعايير البيئية فى كل بلد .

إن « توحيد » معايير التقييم البيئى ، لا تعنى التغاضى عن « تفرد » و « خصوصية » كل بلد عربى ، يقام على أرضه المشروع البيئى ، لكنه يعنى « تثبيت » مجموعة من « المعايير » المتفق عليها ، والتى ثبت نجاحها فى تجارب أخرى ، ودول أخرى ، مع هامش من المرونة تواجه خصوصية البلد المعنى ، نأمل ألا يكون المصير النهائى لهذه التوصيات المهمة ، هو الأدراج المغلقة ، كما هو المعتاد .

لقد أصبحت المشكلة الناتجة من المشروعات التى تعادى البيئة ، ومن غياب الثقافة البيئية ، أمرًا خطيرًا لا يمكن السكوت عليه ، أو تأجيله .

وإذا كانت البلاد العربية قد فشلت فى « التوحد » السياسى ، فربما تكون الاستراتيجية البيئية العربية ، والمنتدى العربى البيئى ، بداية مواتية لتحقيق نوع من الاتفاق والتوحد ، على مستوى حماية البيئة العربية .

هل يمكن أن تفتح قضايا البيئة ، صفحة غير مسبوقة ، للتعاون العربى المشترك ؟ هل يمكن أن تحقق « البيئة » ، ما فشلت فيه السياسات العربية ، وما عجزت عن تحقيقه الجامعة العربية ، المنوط بها تفعيل هذه التوصيات ؟ .

إنه حلم مزدوج .. حلم تحقيق بيئة عربية نظيفة خضراء متوازنة ، متواصلة العطاء للأجيال المقبلة .

● ■ ■ ■ ●

٥ - ثقافة القبح تفسد حقوق المواطنة

■ طرح الحزب الوطنى ، مع تصوره للإصلاح السياسى ، والاقتصادى ، والاجتماعى ، وثيقة « حقوق المواطنة » ، والتى بدونها يفقد الإصلاح معناه ، وغايته .

وأتساءل : هل تضمنت تلك الوثيقة ، كجزء أساسى من حقوق المواطن المصرى ، حقه فى ألا يحاصره « القبح » ، وأن يتمتع بـ «اللمسة الجمالية» فى البيئة المحيطة ؟ .

إن مبادرة الحزب الحاكم ، تركز على النواحى السياسية والاقتصادية فى جميع بنودها وتفصيلاتها .

ولكننى كمواطن مصرى ، يعرف ، ويقدر ، ويعشق « الجمال » .. الجمال الذى هو أحد الفروع الكبرى للفلسفة ، وهى «الحق».. «الخير» .. و « الجمال » . وكذلك باعتبارى متخصصاً فى العلوم البيئية ، أجد غياباً واضحاً ، لما يمكن تسميته بـ « الإصلاح البيئى » . وأرى أن هناك تقصيرًا ، فى الاهتمام بـ « الجمال » واللمسة الجمالية ، فى جميع أمور حياتنا ، وليس فقط فيما حولنا من بيئة مادية مثل البيوت ، والشوارع ، والميادين ، والمناطق العشوائية . بمعنى آخر ، نحن نعانى مما أطلق عليه «ثقافة القبح» تماماً مثلما نعانى من أى مشكلة سياسية ، أو اقتصادية .

لقد أفرزت لنا ، « ثقافة القبح » ، أنواعاً من التلوث البيئى ، تؤذى المواطن المصرى ، وتصيب « حقوق المواطنة » فى مقتل . نذكر التلوث البصرى ، من تفاوت ارتفاعات المبانى ، وتنافر ألوانها ، تناثر القمامة

والقاذورات فى الشوارع ، الفضلات و « الكراكيب » التى تُخزن على أسطح المنازل ، غياب اللون الأخضر ، الإعلانات المختلفة التى تلصق على واجهات البيوت وفى الشوارع ، والملصقات التى توضع على وسائل المواصلات العامة ، دون انسجام ، أو نظام ، ويمكن أن نضيف أيضاً عوادم السيارات ، وأدخنة المصانع . ونذكر التلوث السمعى ، من فوضى وعشوائية استخدام الميكروفونات ، فى الجوامع ، وفى مناسبات الأفراح ، والمآتم ، ومع الباعة الجائلين .

إن « ثقافة القبح » والتى من بعض آثارها التلوث البصرى والسمعى ، أصبحت « ثقافة شعبية » . أقصد أن « القبح » أصبح الحقيقة السائدة فى مجتمعنا ، وليس الخطر الحقيقى ، أن نعيش فى بيئة غير نظيفة ، تغيب عنها اللمسات الجمالية ، والمساحات الخضراء ، والتناغم فى أشكال المبانى أو ألوانها . الخطر الحقيقى ، هو أننا قد « تعودنا » على هذا « القبح » ، والتعود يلغى إحساسنا أن هناك مشكلة ، ولابد أن تُحل .

نحن سواء كنا حكومات ، أو شعوباً ، لم يترسخ بعد ، فى عقولنا ، ووجداننا « ضرورة الجمال » ، وأهمية تذوقه . مازلنا نعتقد أن الحرص على اللمسة الجمالية ، والنظافة ، والهدوء ، وتحقيق التناسق ، والتناغم ، كلها « رفاهية » أو « ترف » . هى ليست أساسية مثل توفير لقمة العيش ، أو السكن الرخيص ، أو التأمين الصحى . والبعض يظن إننا استوردنا مشكلات التلوث البيئى والحرص على الجمال ، من الغرب الذى لا يعانى من غياب الأساسيات . لدينا جهاز لشؤون البيئة ، ولكن ليس لدينا « العقلية البيئية » . عندما انتهيت ، من دراستى للماجستير ، فوجئت أن هناك كماً كبيرًا ، متنوعاً من البحوث والدراسات البيئية سواء على

مستوى الماجستير ، أو الدكتوراه . كلها مركونة فى الأدراج أو مخزونة فى المكتبات . لم يستفد بها أحد ، ولذلك أقول ، إن الاهتمام بالجمال البيئى ، أوالإصلاح البيئى ، مازال موضوعاً للاهتمام النظرى فقط . لكنه لم يصبح بعد جزءًا أساسيًا من فلسفة التطوير ، والإصلاح . قد يقرأ المسؤولون توصيات عديدة ، عن ضرورة وجود اللمسة الجمالية ، فى البيئة المحيطة ، ويعجبون بها ويثنون عليها ، لكن الشارع المصرى ، والبيت المصرى ، والبيئة المصرية ، قصة أخرى مناقضة .

إن الحق فى حياة ، نظيفة ، خضراء ، صحية ، جميلة ، من أساسيات حقوق المواطنة وليس فقط مجرد الحق فى الحياة .. أى حياة .. وإن حاصرها القبح والتلوث والضوضاء .

● ■ ■ ■ ●

٦ - إطعام فقراء مصر من فضلات القمامة

■ منذ القدم ومشكلتى الفقر ، وغياب العدالة ، هما الصفتان السائدتان والمتلازمان فى تاريخ البشر . والفقر مشكلة عالمية ، فهناك أكثر من ٢ مليار إنسان يعيشون تحت خط الفقر ، لا يجدون الفتات ، وينامون جوعى بلا عشاء . وتزداد شراسة الفقر فى الدول المتخلفة التى نصفها تأدباً بأنها نامية .

وبرغم ما يقدمه الساسة والاقتصاديون من أسباب ومبررات لتفسير ظاهرة الفقر كالحروب والأزمات الاقتصادية ومشكلة السكان وتزايدهم ، فإننى لست على قناعة بالكثير من هذه المبررات . وإنما يعود السبب من وجهة نظرى إلى أن هناك قلة من الناس يسيطرون على مقدرات الأغلبية من البشر ، يمتلكون السلطة والمال ، وفى المقابل الفقراء الذين لا يملكون شيئاً . فلب المشكلة أن هناك أُناس يزدادون تخمة ، وأُناس لا يجدون قوت يومهم .

وتقدر أعداد من يعيشون تحت خط الفقر فى مصر بـ ٥٠٪ من السكان من محدودى الدخل ، وسكان العشوائيات ، وسكان المقابر ، ومدن الصفيح . هؤلاء جميعاً يعانون الأمرين ليحصلوا على طعامهم . ولأننا لا نعدم من بين رجال الأعمال فى مصر المحروسة مَن هم مؤرقون ، ومنشغلون ، ومعذبون ، وتتقطع أكبادهم حسرة وكمدًا على أحوال الفقراء فى مصر ، وخاصة طعامهم ولقمة عيشهم ، طلع علينا أحد رجال الأعمال الذى انتفض أخيرًا بعد رقاد طويل ، وبدأ يشعر فجأة بمعاناة الفقراء وعذاباتهم وشقائهم بسبب لقمة العيش .

أنشأ هذا الرجل ما أطلق عليه « بنك الطعام » ، الغرض منه إطعام كل مصرى فقير ، عن طريق جمع فائض الطعام من الفنادق ، والمطاعم ، وولائم الأثرياء ، والسوبر ماركت ، وتوزيعها على الأسر الفقيرة فى مصر . وقد ناشد رجال الأعمال من ذوى القلوب الرحيمة ، والمؤسسات الخيرية المختلفة ، بالتبرع بجزء من المال ، أو بقطعة أرض ، أو بغير ذلك مما تجود به أنفسهم ، وخصص لبنك الطعام هذا ثلاثة حسابات داخل ثلاثة بنوك رئيسية فى مصر ، ومد خطاً ساخناً على مدى الأربع والعشرين ساعة للرد على استفسارات المتبرعين وأسئلتهم الخاصة ببنك الطعام .

ولكى يضمن رجل الأعمال رقيق القلب مرهف المشاعر أن يصل الطعام إلى مستحقيه ، سوف يقوم برسم خريطة للأماكن التى يتجمع فيها الفقراء فى مصر والذين يحتاجون إلى الطعام .

ولم ينتهى الأمر عند هذا الحد ، فرغبة رجل الأعمال هذا فى إنقاذ فقراء مصر بإعالتهم وإطعامهم دفعته لتمويل فيلماً تسجيلياً قصيرًا ، لكى يعرض على القنوات الفضائية المختلفة ، فلعل الفكرة تلقى قبولاً وتأثيرًا لدى الأثرياء العرب فترق قلوبهم ويساهمون فى إطعام فقراء مصر . وموضوع الفيلم يدور حول امرأة مصرية فقيرة تصطحب طفلها معها ، وهما يبحثان فى أكوام القمامة عن فضلات الطعام المتناثرة . إنها فضيحة بكل المعايير .. فضيحة أن يُصور فيلماً بهذا الموضوع ، ويُعرض على القنوات الفضائية ليدر عطف وشفقة الأثرياء العرب وغير العرب على فقراء مصر فيدفعوا ثمن عشائهم .

إننى لست من أنصار إخفاء العيوب أو سترها بأى شكل من الأشكال،

ولكننى أستهجن هذا الأسلوب الذى تُعرض به هذه العيوب أسلوب التسول والشحاذة . إن مَن يُشاهد هذا الفيلم « خاصة من أثرياء العرب » سيشعر بالاحتقار والاشمئزاز من مصر كلها ، ومن فقرائها بشكل خاص .

إن دوافع رجل الأعمال هذا ، وإن كانت فى ظاهرها خَيّرة ، إلا إنها فى الحقيقة ليست إلا إهانة لفقراء مصر ونيلاً من إنسانيتهم وكرامتهم ، فهو قد تعامل معهم على أنهم متسولون ، شحاذون يتسولون الطعام من فضلات الفنادق والمطاعم ، لا فرق بينهم وبين حيوانات كالقطط والكلاب ، يلقى إليهم بالفضلات فيهرولون لاختطافها لإطفاء جوعهم .

إن هناك فى مصر أسرًا توفر للقطط والكلاب طعاماً خاصاً ، قد لا يستطيع أُناس كثيرون من محدودى الدخل توفيره لأبناءهم .

لقد تصورت أن رجل الأعمال هذا سوف يوفر لفقراء مصر وجبات جاهزة نظيفة وصحية ، ولكن للأسف سوف يطعمهم من فضلات المطاعم والفنادق ، من الطعام الذى سيلقى فى القمامة . أريد أن أهمس فى أذن هذا الرجل الثرى رقيق القلب والمشاعر ! هل تقبل أو ترضى أن يأكل ابنك أو ابنتك من فضلات المطاعم والفنادق ؟!

إنها طريقة التفكير التى لا نستطيع الفكاك منها كلما واجهتنا مشكلة من المشكلات ، طريقة تفكير يقع فى حبائلها كثير من الساسة والمنظرون فى مصر والعالم العربى والإسلامى ، طريقة تفكير لا ترى إلا الأشياء القريبة ، وتجعل الإنسان لا يدرك أو يبصر أبعد من قدميه . فما جدوى الحل الذى سيقدمه رجل الأعمال هذا ؟ ، هل سيستمر فى تقديم الطعام للفقراء لمدة سنة أو سنتين أو ثلاثة أو على مدى أعمارهم طالما أنهم أحياء ؟! .

إن هذه الفكرة بالرغم من عدم جدواها لا تصلح إلا لفترة زمنية صغيرة ، كموائد الرحمن التى تُقام فى شهر رمضان وحسب . أما على المستوى البعيد فهى فكرة فاشلة ، إن رجل الأعمال هذا إن كان مؤرقاً حقاً بمعاناة فقراء مصر ، فكان من الأولى أن يتعاون ويتضامن مع غيره من رجال الأعمال من أجل توفير عدد من فرص العمل سنوياً لأكثر الفقراء حاجة ، فيتكسبون قوتهم وطعامهم بجهدهم وعرقهم بدلاً من أن يتسولوا الطعام فى خزى وخجل . وهنا أتذكر المثل الصينى الشهير « بدلاً من أن تمنحنى سمكة اعطنى سنارة لأصطاد بها الأسماك » .

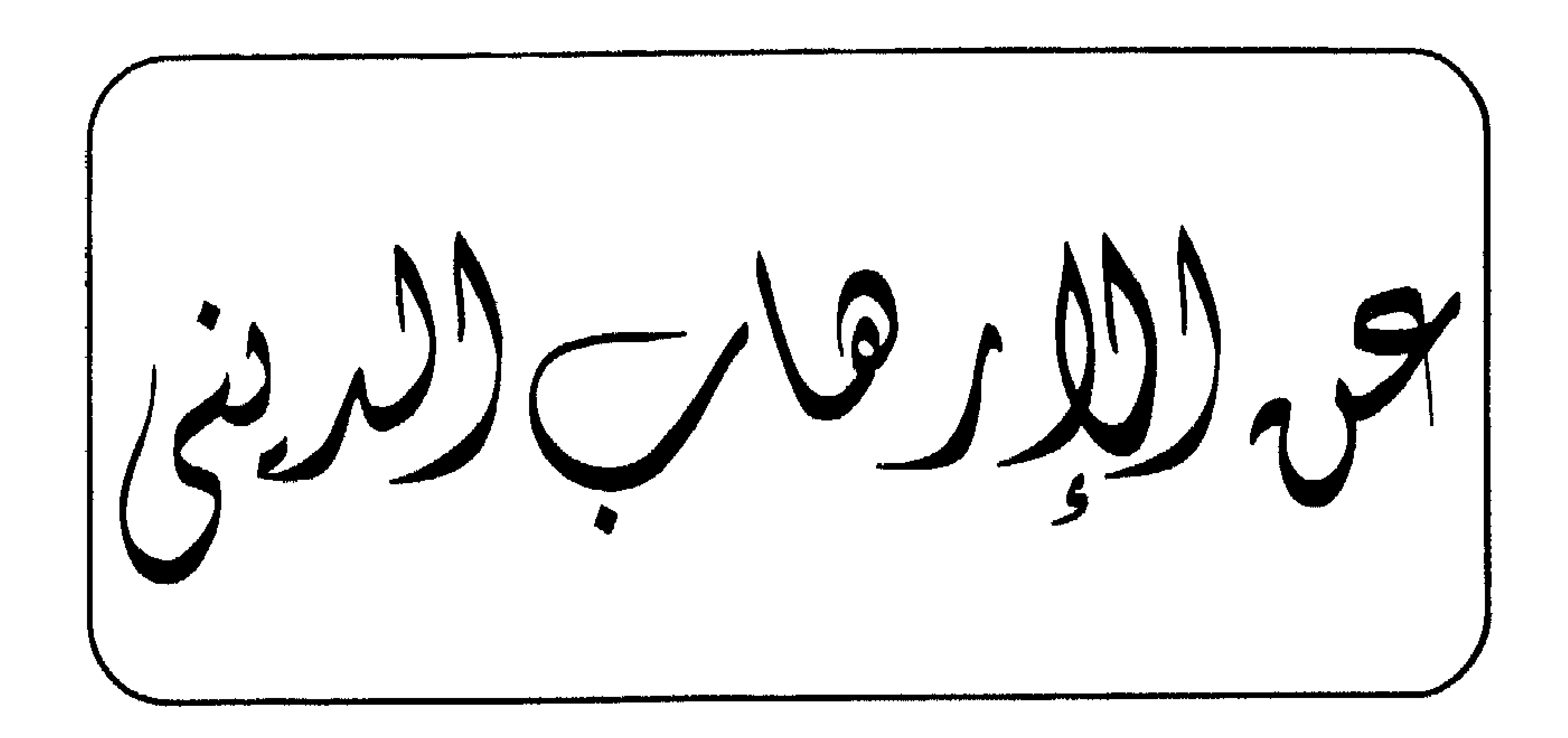
إن هذا الرجل يفكر بنفس طريقة من يقيمون « موائد الرحمن » والتى تُقام فى شهر رمضان لإطعام المسافر أو الفقير ، فبعد انتهاء الشهر لا يسأل من أقاموا هذه الموائد أين يأكل هؤلاء الفقراء طوال العام ؟. إن رمضان هو مناسبة لتقديم الخير الذى يتمثل فى وجبة إفطار تُقدم للفقير والمحتاج . إن الخير بالنسبة إليهم موسمياً يظهر فى أوقات ويختفى طوال العام ، وتختلف دوافع وأغراض مَن يقيمون هذه الموائد فمنهم من يقيمها بدافع الصدقة ، وبعضهم دافعه نوع من المظهرية ، والبعض الآخر يقيمها دفعاً ودراً للحسد . « اطعم الفم تستحى العين » .

ورجل الأعمال هذا هو على ما أعتقد ينتمى إلى هذا النوع الذى يتفاخر بإطعام الفقراء كنوع من المظهرية . إن تجربتى فى الحياة والتحليل الفلسفى والنفسى للبشر تؤكد أن لا أحد يقدم شيئاً لوجه الله ، فهناك دائماً دوافع خفية وراء كل فكرة أو مشروع ما . هذا بالإضافة إلى أن هناك أمورًا عدة تثير عندى الشكوك ، فهناك خط ساخن ، وتبرعات ، وحسابات فى البنوك ، وليس هناك من رقيب على ذلك ، والتلاعب فى هذه الحسابات ساحة مفتوحة وباسم الفقراء .

إنى أتساءل لِمَا كل هذا فجأة وبدون مقدمات ؟! . هل كان هذا الرجل يعيش فى بلد آخر ليس فيه فقر ومعاناة للفقراء ، وفجأة جاء إلى مصر ليرى تعاسة وقلة حيلة الفقراء فى البحث عن مسكن أو عمل ، أو طعام يطفئون به صراخ معدتهم ؟! ، هل كان هذا الرجل يعيش فى غفوة دامت معه طويلاً ، ثم استفاق على صحوة أيقظت إنسانيته ، وجعلته يصدم حينما رأى امرأة تبحث فى أكوام القمامة على فتات الطعام ؟! .

إن نبرة الكذب والزيف زاعقة وواضحة فى هذا المشروع ، والغرض منها الحصول على المال بطريقة سهلة ، حتى ولو كان الضحية الفقراء فى مصر . أقول لمثل هذا الرجل وأمثاله ، ألا تكفيكم ثرواتكم التى تزيدكم تخمة على تخمة ، كفاكم مزايدة بالفضيلة ، ولكن حماقة الإنسان تدفعه إلى الجشع والطمع حتى ولو على حساب الفقراء .

●■ ■ ■●


عن الإرهاب الدينى

١ - كيف تصنع إرهابياً ناجحاً ؟!

■ منذ أن أصبح الإرهاب ، سمة تتخطى الحواجز المحلية ، لتصف وجهاً قبيحاً من وجوه العولمة ، والذى جعلنا نتحدث عن ظاهرة الإرهاب العالمى أو عولمة الإرهاب ، وتدويل الإرهاب ، والتجارة فيه ، كما التجارة فى السلع . حقاً ، لقد أصبح الإرهاب من أكثر السلع ربحية ، حيث يعتمد على إنتاج أكثر الأدوات إدرارًا للربح ، على مستوى العالم ، ألا وهى « الأسلحة » .

تعقدت الشبكة الإرهابية .. تحالفت الخلايا الإرهابية .. تناثرت أوكارها ، وبؤرها فى جميع بلاد العالم .. استقطبت لزعمائها وفكرها الإرهابى الدموى ، الشباب من مختلف الجنسيات .

وبات الأمر محيرًا . وأخذت أتساءل ، وربما يتساءل معى كثيرون عن طبيعة هؤلاء الشباب ، الذين ينساقون إلى جرائم يذهب ضحاياها أى ناس ، من أى جنسية ووطن ، ومن كل الأديان . أخذت أفكر فى السمات الشخصية الرئيسية التى تمثل القاسم المشترك ، للإنسان صاحب اليد التى تمسك بالمدافع والرشاشات ، وتفجر القنابل ، وقبل أن يذبح الأبرياء من المستهدفين ، يخبئ عيونهم ويجعلهم يقرأون الشهادة ، أمام أسرهم على الإنترنت .

هناك تشابهات بالتأكيد ، فالإنسان لا يولد إرهابياً .. ولست من أنصار العالم الإيطالى لمبروزو ، الذى فسر « الإجرام » بكل أشكاله ، بأنه يولد مع الشخصية .

من ملاحظاتى ، وربما أكون مخطئاً .. أن الشخصية الإرهابية تتسم بثلاثة أنواع من « الخواء » .

أولاً : « خواء المعدة » .. فالإنسان الجائع ، هو أول واحد يقف فى طابور اليائسين .. المستعد لأن يفعل أى شىء ، لكى يسكت آلام معدته الخاوية .. وإذا كان هذا الجائع ، لا يرى إمكانية أن يأكل بكرامة ، ويجد مصدرًا منظماً للرزق بكرامة ، له ، أولاً ، قبل أن يكون له ولأسرته ، فإنه يصبح مؤهلاً للاستقطاب فى أية أعمال إجرامية .. ثم إرهابية .. بعد أن أغلقت فى وجهه ، ألف باء الحياة .

ثانياً : « خواء العقل » .. فالإرهابى الذى بدأ ، بالاستجابة إلى احباطاته ، وآلام معدته ، وإنغلاق طموحاته ، أصبح بالضرورة أيضاً ، مغلق العقل .. لا قضية له ، إلا المضى قُدماً فى الطريق الذى ، حرضته عليه المعدة الخاوية ، والإحباط الأسود ، بنيته محدودة المعرفة والمعلومات .. موروثاته المستقاة من الذين استقطبوه ، أو من ماضى مجتمعه ، أكثر محدودية . هذا « الخواء العقلى » .. هو التربة السهلة .. الملائمة ، لصناعة شخصية إرهابية .. قصيرة النظر .. تنساق بسهولة إلى الفكر المتطرف .. لأن التطرف هو نوع من أنواع الجهل ، إن لم يكن أسوأ أنواع الجهل جميعها .. لأن الجهل وحده ، والانغلاق ، والمحدودية الفكرية هى التى تجعل الإنسان يعتقد أنه يملك الحقيقة .. وأن الصواب المطلق ، هو ما يدور برأسه .

ثالثاً : « خواء القلب » .. وأقصد به عدم القدرة للشخصية الإرهابية على إقامة علاقة سوية مشبعة ، مع الجنس الآخر (المرأة) . وهذا ما

يفسر لنا ، كيف أن أعنف وأحد ، وأشرس التعصب الذى يوجهه الإرهابى ، هو ضد جنس النساء ، بالتحديد . لا شىء يكرهه الإرهابى ، أكثر من المرأة ، لأنها تجسد له ، فشل رجولته ، وتعثر ذكورته فى العلاقة العاطفية ، والجنسية معها .. وبالتالى نجد أن جميع فتاوى المتطرفين ، ورؤية الإرهابيين للمرأة ، أن تتغطى من فوق لتحت .. وأن تُمنع من كل الأنشطة المبهجة فى الحياة .. وأن يُلصق بها جميع الصفات السيئة .. المدنسة .. وأن تُحرم من حقوقها ، حتى تلك التى أقرتها لها الشريعة الإسلامية . بذلك هو لا يدافع عن الدين أو الشريعة أو يحمى من الفتنة ، أو يحافظ على الأخلاق ، ولكنه « ينتقم » من المرأة التى عجز عن إقامة علاقة حب أو علاقة عاطفية معها .. والتى أصبحت تمثل له « رمزًا » ، لفشله فى الاستمتاع بأجمل ما فى الحياة .. « أن يحب امرأة وتحبه فى المقابل امرأة » .

« خواء المعدة » ، « خواء العقل » ، « خواء القلب » .. هذه هى الثلاث « خواءات » التى تُميز كل متعصب .. إرهابى .. متطرف .. ولابد أن يكون لنا ، وقفة معها .. مع كل خواء منها ، حتى نقضى على صناعة الإرهابى الناجح .. محلياً وعالمياً .

●■■■●

٢ - اختلاف الفقهاء ليس رحمة بل تخبط

■ من المقولات الشائعة التى يرددها الناس دون تفكير نقدى متأمل مقولة « اختلاف الفقهاء رحمة » ، وإننى أسأل المروجين لهذه المقولة كيف يكون اختلاف الفقهاء رحمة ، وهذا بالتحديد الذى يجعلنا ننادى بأن الدين لله والوطن للجميع ، أو الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة ، هذا بالتحديد ما أدى بالمسلمين إلى هذه الحالة الفكرية المتردية ، التى لا تخلو من التعصب . إن اختلاف الفقهاء ، هو السبب الرئيسى فى إحداث التخبط ، والبلبلة والفتن الدينية والطائفية المذهبية . كل فقيه يفسر الدين وفقاً لثقافته ، ومصالحه وحسب ما يمليه مزاجه ومدى اقترابه ، أو ابتعاده عن الموسسات الدينية الرسمية . كل فقيه يزعم بحكم دراسته للفقه وغيرته على الدين ، أن تفسيراته وفتاواه هى الوجه الصحيح للدين، وهى صوت الإسلام الحقيقى ، دون شوائب ، ودون مصالح سياسية دنيوية . كل فقيه يطمح إلى أن يتبع الناس ، وجهة نظره فى « ما ينبغى أن يكون عليه الدين أو الإسلام » . ويسعى من خلال وسائل الإعلام المختلفة إلى الترويج لرؤيته ، وتفسيراته الخاصة ، إذن بالمنطق البسيط ، اختلاف الفقهاء لا يعنى فى الواقع العملى إلا وجود العديد من التفسيرات الخاصة بكل فقيه ، وكل واحد يزعم أن ما فهمه من الدين هو الذى قصده الله وأن تفسيراته الخاصة هى التى ستنشر الإسلام وتحميه ، من « تفسيرات » أخرى مغالطة ، ويتمادى الفقهاء ويصفون تفسيراتهم الخاصة على أنها من « الثوابت » التى يحرم مناقشتها أو تغييرها ، كيف إذن يكون اختلاف الفهاء رحمة ونحن نجد أنفسنا فى مواجهة مئات

التفسيرات وآلاف الفتاوى فى القضية الواحدة ؟ كيف يكون اختلاف الفقهاء رحمة وعلى أرض الواقع ، تتصارع وتتضارب وتتناقض تفسيرات هؤلاء الفقهاء بشأن الموضوع الواحد ؟

نحن لدينا بالفعل أنواع لانهائية من تفسيرات الإسلام عدد الفقهاء أنفسهم فى البلد الواحد ، أو الفقهاء بين الدول الإسلامية بعضها البعض، ولدينا أمثلة شهيرة مازالت حتى الآن موضع اختلاف وتناقض ، لا يقودنا إلى شىء واضح ، على سبيل المثال التفسيرات المتضاربة حول الحجاب ، ولاية المرأة ، وقوامة الرجل ، وتعدد الزوجات .. وكل تفسير يقول إنه الصحيح .

إن ما حدث منذ أيام فى نيويورك حين قامت د. أمينة ودود (أستاذة الدراسات الفلسفية والدينية بجامعة كومنولث - فيرچينيا) بإمامة صلاة الجمعة يوم ١٨ مارس للرجال والنساء واتخاذها دور الخطيب ، وسط إجراءات أمنية مشددة ، ووسط هجوم واستياء جمعيات إسلامية كثيرة فى أمريكا الشمالية ، ووسط مظاهرات حاشدة غاضبة تتهمها بإنكار ثوابت الدين ، وإحداث فتنة فى الدين ، وتدمير الإسلام باسم الابتكار العصرى ، وشذوذها الفكرى مقابل تأييد جمعيات إسلامية أخرى مثل جمعية « صحوة المسلم » وجمعية « المسلمين المتقدمين » ، أكبر دليل على أن اختلاف الفقهاء ليس فقط تخبطاً وتعصباً ، ولكنه أداة من أصوات الجمود الفكرى ، ورفض التجديد ومحاربة الاجتهاد وفقاً لمستلزمات الحياة المتغيرة أكثر من هذا أداة إرهابية ، حيث أن المسلمين الغاضبين فى أمريكا ، يقولون إن الدكتورة أساءت للإسلام ، والإساءة عقوبتها الموت .

الفقهاء يقولون « إمامة المرأة للرجال فى الصلاة ليس له سند فقهى أو تاريخى » ، وترد عليهم د. أمينة وأنصارها من الرجال والنساء « إننى متخصصة فى التفسير ، والفقه والاجتهاد ، ودرست تاريخ الفقه الأسلامى كله ، لم أجد شيئاً فى القرآن أو السنة يُحرم إمامة المرأة » .

أما شيخ أئمة المسلمين ، الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥م) والذى احتفلت مصر هذا العام بالذكرى المئوية لميلاده ، فقد اجتهد فى تفسير القوامة للرجل بشكل ينصف النساء ، ولا يرادف التحكم والسيطرة ، وكذلك رأيه فى تعدد الزوجات ، والذى رآه محرماً ولابد أن يقيد حتى ولو بقرار من حاكم البلد ، وبالطبع تعرض لهجوم شديد وتم وصفه أيضاً بالإساءة للدين ، وإنكار « الثوابت » والشذوذ الفكرى .. هذا حدث للإمام المسلم المستنير محمد عبده . والذى كان أحد تلامذة المفكر الإسلامى جمال الدين الأفغانى النابغين .

تصوروا ما الذى يحدث لإنسان عادى لا هو إمام ولا شيخ إسلام ، وحاول الاجتهاد وتجديد الخطاب الدينى ؟ إن تجديد الخطاب الدينى الذى يطالب به البعض سواء الفقهاء أو غير الفقهاء غير ممكن الحدوث عملياً ، وسط الخضم الهائل المتناقض من آراء الفقهاء .

التجديد معناه ابتكار سلوكيات تتناسب مع العصور المتغيرة ، طالما أنها لا تؤذى خلق الله حتى لو لم تكن تمارس فى عهد الإسلام الأول .. إن هذا هو بالتحديد معنى التجديد ، أن نمارس ما لم يتم ممارسته بحكم تغير الأزمنة والناس ، والعقول والتحديات .

لا أتصور كيف يكون اختلاف الفقهاء رحمة ، وهو فى جميع العصور كان الباب الذى فتح ملفات التفرقة على أساس الدين أو التفرقة المذهبية داخل الدين الواحد ، والصراعات وزرع الإرهاب . لا أتصور أن تأتى الرحمة مع آلاف التفسيرات الدينية ، وكلها تدعى أنها « الدين » أو « الإسلام الصحيح » ، وكلها مؤسسة على شخصية الفقيه ، وخصوصية مصالحه ، وتركيبته العقلية والنفسية .

بمن نأخذ من الآراء والتفسيرات والفتاوى ؟ وما المعيار الذى نطبقه طالما أن الجميع فقهاء « دارسون ! » وطالما أن الجميع « يزعمون » أن تفسيراتهم هى « الحقيقة » ؟ وطالما أن الجميع يضفون على تفسيراتهم كلمة « الثوابت » .

وعملياً نجد الذى يحدث أن كل إنسان يتبع الفقيه ، أو الفقهاء الذين تتفق تفسيراتهم الدينية مع مصالحه وثقافته وتكوينه النفسى . إن فصل الدين عن الدولة معبرًا عنه فى « الدين لله والوطن للجميع » ، دعوة تطمح بالتحديد إلى التخلص من الحيرة والتخبط والبلبلة وأنواع الفتن التى تشعل التعصب ، والكراهية والتطرف بين الناس . إن الرحمة ليست فى اختلاف الفقهاء ، ولكن الرحمة فى أن نطبق دعوة « الدين لله والوطن للجميع » ، وفصل الدين عن الدولة بحيث تكون علاقة الإنسان بربه علاقة شخصية ، خاصة جدًا ، يحددها كل إنسان بعقله الذى خلقه الله بالقدرة على التمييز ، وفطره على حب الخير لنفسه وللآخرين . لا توجد رحمة فى اختلاف الفقهاء ، ولكن الرحمة أن نظل نكافح حتى تتحقق العلاقة الشخصية الخاصة بيننا وبين الله ، دون وسطاء ، أى فقهاء .

إن الإيمان بالله ليس فى حاجة إلى طبقة عازلة « الفقهاء » ، تروج لأكبر وهم عرفه التاريخ ، إننا قاصرون بدونهم على معرفة الله والإيمان به ، وإننا دائماً فى إحتياج إليهم ، لنعرف مصلحتنا ومصلحة الآخرين . إننا نعرف الله الذى هو العدل بعقولنا ، وليس بتفسيرات الفقهاء ، وكل منا له عقل يحاسبه الله على اختياراته ، وليس على ما أشاعه الفقهاء .

● ■ ■ ■ ●

٣ - إرهاب التيارات الإسلامية يخدر العقول !

■ قرأت فى إحدى المجلات العربية ، خبراً استوقفنى كثيراً ، وأفزعنى أيضاً ، يقول الخبر أن إحصائية حديثة أوضحت أن المجتمعات العربية تنفق سنوياً خمسة مليار دولار على السحر ، والجن والشعوذة ، والعلاج بالخرافات ، والغيبيات ، واحجبة ، ووصفات ما يطلقون على أنفسهم « أولياء الله » .. أو الشيوخ « المكشوف عنهم الحجاب » ، أو الذين أوتوا قدرات خاصة ، غير عادية ، لشفاء الأمراض ، وعلاج الأزمات التى يقف أمامها الطب عاجزًا .

أفزعنى الرقم ، خمسة مليار دولار سنوياً تهدر على الدجل والسحر والشعوذة ، فى مجتمعات مازالت مشكلة الفقر تهدد مصير الملايين فيها ، وافتقاد الاحتياجات الإنسانية الأولية ، يمثل « انتهاكاً » لحقوق الإنسان الأساسية . وفى مجتمعات يكثر فيها الحديث ، عن محدودية الموارد ، وضرورة ترشيد الإنفاق سواء للأفراد أو للحكومات ، وضرورة التعجيل فى إجراءات للإصلاح السياسى والاجتماعى ، والثقافى ، وحتمية تجديد الخطاب الدينى وأهمية انتشار العقلية العلمية ، مقابل العقلية الخرافية .

هذه كلها إجراءات إصلاحية ، تبدأ فى رأيى ، بالعقل العربى .. كيف يفكر الملايين فى المجتمعات العربية الإسلامية ، وحوله ما لا يحسد عليه من تحديات محلية ، وإقليمية ، ودولية .

من هنا أقول إن خمسة مليار دولار ، تنفق سنوياً على السحر والدجل والشعوذة ، حقاً رقم مفزع .. ولكن الذى يفزع أكثر ، دلالة هذا الرقم ،

الخطر الحقيقى ، هو فى كشفه للعقلية العربية ، وفضحه لطريقة التفكير فى عام ٢٠٠٥ .

لا أعتقد أن المجتمعات التى تنفق خمسة مليار دولار سنوياً ، على السحر والدجل والشعوذة ، مؤهلة لأن تواجه التحديات وتنتصر عليها ، ولديها المقومات الفكرية للأخذ بمقومات الإصلاح السياسى ، والاقتصادى ، والاجتماعى ، والثقافى ، والدينى ، والأخلاقى .

لست أريد الخوض فى تصور المشروعات التنموية البديلة والتى كان يمكن لها ، أن تعود بالنفع والفائدة باستخدام الخمسة مليار دولار سنوياً . لكننى أريد التركيز ، على قضية مثارة حالياً ، وهى أن على مجتمعاتنا العربية الإسلامية ، واجب تصحيح صورة الإسلام « المغلوطة » و « المشوهة » عن جهل أو عن عمد .. وتم الاتفاق على إرسال قوافل أو وفود من المؤسسات الدينية الرسمية ، على أعلى مستوى لتجوب وتلف العالم ، وتعطى المحاضرات والندوات ، عن وجه الإسلام الصحيح ، وتكذيب الإشاعات التى تحاك ضد المسلمين ، وإحباط المؤامرة التى تخطط للنيل من الإسلام ، ومن صورة المسلمين . وكذلك عقد المؤتمرات الإسلامية العالمية ، لفضح كيف يتعمد الغرب وحلفاؤه ، تشويه وتجريح صورة المسلمين ، ومحاولاته الدؤوبة لإظهارهم متخلفين .

أعتقد أن مجتمعات تنفق خمسة مليار دولار سنوياً على السحر والدجل والشعوذة ، هى التى تشوه صورتها بتصرفاتها ، التى من افرازات نمط التفكير السائد ، وحصاد الثقافة السائدة ، المجتمعات التى تؤمن بالسحر والدجل والشعوذة ، فى علاج الأمراض ، وشفاء الأرواح ،

والقدرات الخارقة للشيوخ ، ليست فى حاجة لمن يشوه صورتها ، ويخطط لها مؤامرة ، ويدبر لها الإشاعات .. تصرفات مجتمعاتنا تتحدث عن نفسها ، وليس هناك « دخان بدون نار » على رأى المثل الشعبى الشهير . نحن نتآمر ضد أنفسنا ، ونشوه صورة أنفسنا بأنفسنا ، وفى الوقت نفسه نضع العيب على الغرب ، والفكر التآمرى الخارجى .

إن أى إصلاح مأمول ؛ مصيره التعثر والفشل ، أو التحقق بشكل سطحى مؤقت ، لا يلبث أن يمسح ويمحى ، إذا لم تتغير العقلية العربية الدينية ، والتى كانت إحدى كوارثها ، إهدار خمسة مليار دولار سنوياً ، على ترسيخ العقلية الخرافية ، وثقافة الغيبيات ، وتحكم الشيوخ الدجالين .

إن هذا الرقم المفزع ، لهو من حصاد الإعلام الدينى المسطح ، والسماح بالخطاب الدينى للمتطرفين إسلامياً ، وترك الأرض ممهدة لاختراق التيارات الإسلامية ذات الوجه الدموى .. وفكر الجهاد المبنى على القتل والانتهازية ، وعنصرية عقيدة ليس لأحد الفضل فى اختيارها ، وعدم اليقظة الكاملة والمستمرة أمنياً وفكرياً للتيارات والجماعات الإسلامية ، بحيث انتشروا فى الجامعات ، والنقابات ، والجمعيات ، ووسائل الإعلام المختلفة ، والمصالح الحكومية ، والمدارس ، والمواصلات العامة ، والأنشطة الثقافية والرياضية ، وأيضاً اخترقوا عدداً من الموسسات الدينية الرسمية ، التى تأثرت بما يفتونه من فتاوى رجعية ، وتفسيرات تحرض على كراهية الآخر ، واتخاذ العنف طريقاً ، وترويج « الإسلام هو الحل » ، والتحريض على تكفير الناس .

إن الفكر الإرهابى الذى يرتدى عباءة الدين ، أحدث تغييباً وتخديرًا « للعقل العربى » وهذا هو المطلوب لإتمام السيطرة والحكم ، إذا كنا ننفق نحن جنس العرب ، خمسة مليار دولار سنوياً ، على الخزعبلات والخرافات ، وتأليه الدجالين ؛ فنحن بالتأكيد لسنا فى حاجة إلى مجرد إصلاح ، ولكن إلى إنقاذ عاجل وإسعاف سريع .

● ■ ■ ■ ●

٤ - الجماعات الإسلامية والصيد فى الماء العكر!

■ كلما قرأت تصريحاً للجماعات الإسلامية ، أو تكشف لى نشاط مستحدث لأعضائها أو جاء إلى علمى زحف جديد لقواتها المتأسلمة على أرضنا الطيبة كلما شعرت بالأسى والمرارة ، وأجدنى أتساءل السؤال الصعب الذى إما نهرب منه أو نتجاهله أو نقلل من أهميته وجدواه فى التشخيص، وبالتالى فى إيجاد العلاج، والسؤال : كيف تسلل هذا الزحف؟ ولكننى أعتقد أنه قد آن الأوان لمواجهة ذاتية بشجاعة نبتغى بها « وجه الوطن » دون منافع ، ونعترف أننا كلنا متورطون ، بشكل أو بآخر ، بدرجة أو بأخرى ، فى فتح حدود الوطن لهذا الزحف الاستعمارى المتأسلم .. كلنا « متورطون » بشكل أو بآخر ، بدرجة أو بأخرى ، حسب مواقعنا ، فى فتح عقولنا لهذا الفكر الفاشى الذى يرتدى لنا - حتى نرتدع ونخاف - كلام الله وحدود الله وأحكام القرآن ، وحتى الصمت والسلبية وعدم التدخل هى من أخطر أنواع التورط ، كنت أقول أننى كلما علمت باختراقات جديدة ، للجماعات الإسلامية ، كلما شعرت بالأسى والمرارة ، لكننى فى الوقت نفسه أشعر بالإشفاق الشديد عليهم رغم كل الأرواح التى دون ذنب ذهبت ضحايا الذبح والقتل والتنكيل والتعذيب ورغم إشاعة مناخ الإرهاب والتهديد والتكفير والتطرف وإرجاعنا إلى الوراء مئات السنوات .

إشفاقى على الجماعات الإسلامية ينبع من ثلاثة أسباب ليست منفصلة عن بعضها البعض .

أولاً : هذه الجماعات الإسلامية لا تدرك أن نجاحها فى اختراق العقول وبث الفكر المتزمت ، المتعصب ، المتطرف ، واستجابة الناس

خطتهم فى « أسلمة » كل شىء فى الحياة لا يعنى اقتناع الناس بهم اقتناعاً راسخاً سوف يدوم .

ولكنه يعنى شيئاً واحدًا أن هؤلاء الناس الضحايا الذين تم استقطابهم يعانون من حالة « حادة » من « الخواء الداخلى » وحالة مذرية من الفراغ الفكرى ، وحالات مرضية متباينة فى الدرجة من فقدان الذات وفقدان الهدف من الحياة ، وكذلك جميع أشكال السأم والإحباط ، والإكتئاب ، والعجز النفسى ، والعجز الجنسى ، والإنسانى والعاطفى ، وغياب الماء النقى ، الصحى ، الذى يروى ويملأ الإناء الفارغ للشخصية المهزوزة .. المنهزمة أمام ذاتها ، وبالتالى أمام الآخرين .

كان إذن المناخ مواتياً لتلك الجماعات الإسلامية المنظمة ، ذات الهدف الواضح ، والممولة من كل القوى السياسية الديكتاتورية ، الرجعية ، التى تعرف أنها تسيطر ولن تحكم ولن تعمل فلوساً إلا بقيام الدولة الدينية وإحياء النعرات الدينية المتطرفة التى تغرق الناس وتضعهم إلى حد القتل ، سواء كانت إسلامية أو مسيحية أو يهودية أو هندوسية أو بوذية أو كونفوشيوسية ، فالأصولية الدينية « مافيا » عالمية ، و « شبكة بيزنس واستثمار » دولية ، وشغل على كبير ، وعلى أيدى هذه الجماعات تحول الدين إلى سلعة أو بضاعة رائجة ، الطلب عليها مضمون والربح أيضاً مضمون .

وهى ليست مقتصرة على الإسلام أو على الديانات السماوية الثلاث ولكنها « وباء » أصاب جميع العقائد والديانات والمذاهب والطوائف والملل ، هى تلعب دائماً على أزمات الشعوب ولا تتجرأ على الظهور إلا فى مناخ يوصف أنه « الصيد فى الماء العكر » .

وقد يشبه هذا الوضع عندما استجاب الشعب الألمانى فى ثلاثينيات القرن الماضى لأستاذ التدمير العالمى وزعيم مجرمى الحروب ، هتلر ، الذى أزكى فى الشعب روح العنصرية بشعاره الجنس الألمانى الآرى المتفوق على كل الأجناس ، وبالتالى لابد من تطهيره من الأعراق والأجناس الأخرى الدخيلة ، فقد كانت استجابة الشعب الألمانى لهذه الدعوة العنصرية العدائية حلاً موائماً للفراغ والخواء وفقدان الهدف الذى كان يعانى منه حين أطلق هتلر أكذوبة الجنس المتفوق .

إذن معنى هذا أن بتغير ظروف الناس الذين استقطبتهم الجماعات الإسلامية ، الظروف التى جعلتهم ينساقون لها ، سوف يزول تأثير هذه الجماعات لأن نجاحها ليس مرتبطاً بعوامل أصيلة ثابتة ولكن بظروف وقتية متغيرة واستغلالاً لأزمات يعانى منها الشعب ، نفسية أو اقتصادية ، فإذا عولجت أزمات الناس أدركوا الحقيقة واستطاعوا التمييز بين حب الله والتجارة باسم الله ، ولن تعد هناك حاجة لأن يخفوا أزماتهم فى التعصب الدينى والتطرف والتزمت ، وسوف تزول الحساسية الشديدة التى تغلف الكلام فى الدين واختلاف الرؤى حول تفسيراته وغايته .

ثانياً : أشفق على الجماعات الإسلامية أنها لا تدرك أنها ، قصر عمرها أو طال ، فإنها تعمل ضد قوانين الحياة وحكمة الوجود ومنطق الكون ، وهذا هو السبب الأقوى الذى يحفر قبرها ، فهى لا تهدد مجرد كاتب ولا تقتل مجرد حاكم، إنها تهدد الحياة نفسها ، تقتل الوجود نفسه ، وتغتال الكون نفسه . وإذا كانت المعركة ضد الحياة فإن الحياة فى النهاية تنتصر مهما طال الوقت ومهما دفع الثمن أُناس أبرياء .

ثالثاً : أشفق على الجماعات الإسلامية لأن أعضاءها معقدون من النساء حيث تنصب كل محظوراتها وتزمتها وتعصبها وتطرفها لحماية الأخلاق والفضيلة والشرف ، وهما مرهونتان فقط بسجن وقهر المرأة خاصة جسدها . لا كلام عن الاقتصاد أو الفلسفة أو حل الفقر ، كل الفتاوى الإرهابية المتزمتة .. وكل الانشغال بأجساد النساء .. والحجة هى الدفاع عن الأخلاق والفضيلة والشرف ، ولا يعنينى هنا إلا أن أتذكر تشرشل حينما قابل الكاتب الساخر الأيرلندى برنادرشو ، فقال له فى تكبر يستهدف إعلاء الشعب الإنجليزى وتحقير الشعب الأيرلندى : « نحن الإنجليز نحارب من أجل الشرف ، أما أنتم أيها الأيرلنديون فتحاربون من أجل الفلوس » .

ورد عليه برناردشو بسخريته الهادئة المعهودة ، قليلة الكلام ، بليغة الدلالة : « كل قوم يحارب من أجل ما ينقصه » .

●■■■●

٥ - الفكر الوهابى الإرهابى يجتاح مدارسنا !!

■ إن القاسم المشترك بين جميع التيارات الدينية السلفية ذات الوجه الإرهابى ، أن فكرها عاجز عن المواجهة بالحوار ، ولا يجيد إلا لغة الدم ، ولا يعرف من إمكانيات التعامل إلا المتفجرات والقنابل ، وبعد تفشى هجماتها الإرهابية ، لم تعد تصلح ردود الأفعال التى استهلكناها بعد كل عمل إرهابى يصدمنا ويروّعنا .

من متابعتى لوسائل الإعلام المختلفة ، تكشّف لى أننا غير قادرين على المواجهة الصريحة ، وأننا عاجزين عن تغيير النغمة المكررة التى تحلل وتفسر وتشرح ظاهرة الإرهاب .

تباين ردود أفعالنا ، وكالمعتاد تنحصر فى إصدار بيانات استنكار ، ودعوات إلى الله سبحانه وتعالى لحفظ مصر من الإرهاب الأسود ، وشجب وإدانة من قِبَل المؤسسات الدينية وإعلانها أنها تتبرأ - هى ورجال الدين ورجال الدعوة الإسلامية - من هذه الجرائم الإرهابية ، وأن الإسلام برىء من قتل الآخر المختلف فى الديانة والعقيدة والرأى والزى والفكر والتوجه الأيديولوچى . التبريرات نفسها والدور السلبى الذى يقف عند مجرد الإدانة ، ولا يدخل بصراحة وعمق إلى جذور الإرهاب فى الواقع المحلى ومدى مسئوليته عن تفشى التطرف والتعصب الدينى ، ويسمح لأكثر التفسيرات الدينية تزمتاً ورجعية بوضع بصماتها على العقل المصرى والغربى . ولا ننسى أيضاً المطلب المتكرر من ضرورة عقد مؤتمرات وندوات محلية ودولية لمكافحة الإرهاب .

لقد أدلى اللواء حبيب العادلى وزير الداخلية ، بتصريح هام ، للشعب

المصرى ، جاء فيه أنه « تم إغلاق الأبواب على التيار الإسلامى ونجحنا فى ملاحقته فى كل مكان » . تأملت تصريح الوزير وقارنته بالواقع اليومى المعاش فى كافة الأنشطة والمؤسسات ، وببعض تصرفات الصحف وسلوكيات الأحزاب - سواء الحزب الحاكم أو أحزاب المعارضة - وما يبثه الإعلام الدينى خاصة التليفزيون ، وبما يتعرض له الكُتاب والأدباء والفنانون من تكفير واتهامات بالردة وإنكار المعلوم من الدين بالضرورة ، ودخولهم إلى المحاكم ... قارنت ذلك كله بتصريح الوزير ، فوجدته قد يكون صحيحاً من الناحية الأمنية ، ولكن من الناحية الفكرية فالتصريح الأكثر دقة - إذا كنا نريد حقاً سلامة هذا الوطن وقتل بذور الإرهاب - أنه « تم إغلاق الأبواب على التيار الإسلامى المستنير » (مثل أفكار الشيخ محمد عبده) ، وعلى « التيار العلمانى » الذى بُح صوته من أن طوق النجاة على المدى القصير والطويل هو فصل الدين عن الدولة ، كما تم إغلاق الأبواب على التيارات الليبرالية لكى لا تعبر عن نفسها إعلامياً ، بينما انفرد بالساحة الإعلامية وخاصة التليفزيون التيار الدينى السلفى وآراء الفقهاء الذين يريدون لوطننا التقهقر وفقدان جميع المكتسبات العلمانية وكل المجهودات المستنيرة لإعمال العقل واستبعاد النقل الأعمى الأصولى السلفى الرجعى العنصرى » .

وحتى المواد غير الدينية التى يقدمها الإعلام فى شكل دراما أو برامج أخرى ، فإنها ترسخ هذا الخطاب الدينى المتخلف الذى ينتمى إلى التيار الإسلامى الوهّابى . لست أريد الإطالة فى حصر أين يوجد هذا الفكر الوهّابى ومسئوليتنا فى السماح له بالتسلل وتحقيق أهدافه ، لأن الأمثلة كثيرة وعديدة وفى كل مكان : ملصقات المترو المتطرفة ..

منشورات الإخوان والتيار الإسلامى فى الجامعات والنقابات لفرض الحجاب وتخويف النساء السافرات واتهامهن بالكفر .. انتشار اللغة الدينية فى القاموس اليومى .. الصلاة فى الميكروفونات الزاعقة .. كتب التطرف والجن وعذاب القبر ، والدجل والشعوذة ، وتحريم الرياضة والفن والأغانى والسينما .. انتشار الذقون .. انتشار الصحف الدينية التى تلعب على الدين والتفرقة الدينية .. إرسال دعاة وداعيات إسلاميات إلى بعض المؤسسات الحكومية والأندية للهداية مرة كل أسبوع .. لن أكمل فالقائمة طويلة ...

لكننى سأذكر فقط إعلانين نشرا منذ أيام فى أكبر جرائد الوطن ، وأعتبرهما « تحريضاً » و « تدعيماً » و « ترسيخاً » للفكر الدينى الوهّابى السلفى الرجعى . وأرجو أن نقارن هذين الإعلانين بتصريح اللواء العادلى بأنه « تم إغلاق كل الأبواب على التيار الإسلامى ، ونجحنا فى ملاحقته فى كل مكان » . يقول الإعلان الأول عن المدرسة الدولية بالقاهرة : إنها تدرّس البرامج الأمريكية الخاصة بالبيئة الثقافية المصرية .. وأنها تفصل بين الصبيان والبنات .. وأنها تضع تركيزًا على تدريس القيم الدينية والأخلاقية . أما الإعلان الثانى عن الكلية الأمريكية الحديثة بالقاهرة ، فيقول ببنط أوضح : إنها مدرسة للبنات فقط .. وإنها تدرّس البرنامج الأمريكى المتقدم فى علوم الكمبيوتر .. وإنها تضع تركيزًا خاصاً على تدريس القيم الدينية والأخلاقية .

لا أعتقد أننى فى حاجة إلى تعليق .. مدرسة دولية وأخرى أمريكية حديثة ، إحداهما للبنات فقط ، والأخرى تفصل بين الصبيان والبنات فهى ضد الاختلاط ... ويجمعهما « تركيز خاص على القيم الدينية والأخلاقية » .

أليس هذا تطرفاً دينياً وتعصباً دينياً تحت اسم مدرسة دولية أو أمريكية حديثة ؟ أليس أصحاب التيار الإسلامى السلفى الوهابى هم مُلاّك هذه المدارس ؟ لقد غيروا فى منهجهم هذه المرة ، فبدلاً من استثمار أموالهم المشبوهة فى الصدام المباشر وآليات التكفير وسفك الدماء ، استثمروها فى إنشاء مدارس تُدرس الفكر الوهابى السلفى وتُحرّم الاختلاط وتركز بصفة خاصة على القيم الدينية والأخلاقية . وبالطبع هذه القيم هى نظرتهم السلفية الوهابية للإسلام .

كيف سُمح لمثل هذه المدارس أن تتواجد وأن تعلن عن فكرها السلفى فى جريدة مصرية ؟ كيف سُمح لهذه المدارس ولمن وراءها أن تستقطب الأطفال لهذا الفكر الإرهابى المتعصب على المدى القصير ، ولكى يصبحوا أجيالاً تعيد إنتاج هذا الفكر فى جميع أشكاله على المدى الطويل ؟ هذا هو التغير فى آليات عمل التيار الإسلامى حيث أدرك القائمون عليه أن اختراق العقول منذ الصغر هو الذى يضمن بقائهم ووصولهم إلى كراسى الحكم مع استمرار استثماراتهم الإسلامية الوهابية .

إن مكافحة الإرهاب بصورة حقيقية لن تتم بالشجب والاستنكار وعقد المؤتمرات ، ولكن بمكافحة الفكر الذى تم زرعه وغرسه فى التربة المصرية ، فالفكر يكافح بالفكر .. سيأخذ هذا الكفاح بالطبع سنوات طويلة ، ولكن علينا أن نبدأ الآن .. وأكرر علينا أن نبدأ الآن ، وإلا فستنزل بنا جميعاً عواقب وخيمة ، ونقول حينئذ نادمين : « ليتنا فعلنا كذا وكذا ... ! » .

لن ننجو نهائياً من الإرهاب إلا بفصل الدين عن الدولة ، واتخاذ قرارات شجاعة حازمة عملية تستأصل هذا الفكر الأخطبوطى من الإعلام فى جميع صوره . وكما يتم استئصاله أمنياً ، لابد من استئصاله فكرياً من العقول ، لأن اختراق الأفكار للعقول لا يتم بالتشديد الأمنى والتغطية الأمنية القومية ، ولكن أيضاً - وربما بشكل أقوى - بالتشديد الفكرى واليقظة الفكرية القومية . ذلك هو الطريق لحماية هذا الوطن الذى يلعب به الكثيرون مستخدمين قماشة الدين الفضفاضة بتفسيراتها العديدة اللانهائية . لذلك جاء فصل الدين عن الدولة واحدًا من ميكانيزمات الدول المتقدمة لبتر تلك النوايا الخبيثة فى تدمير الأوطان والعقول وإشاعة الإرهاب والمتاجرة بالمشاعر الدينية وصولاً للحكم والمال وإشاعة التعصب الدينى بين البشر ...

انهض أيها الوطن .. لا تخف من أن تبتر الأعداء .. لأن البديل هو أن يبتروك أنت ؛ وهذا ما لن نسمح له بالحدوث !

●■■■●

٦ - تجربتى مع أحد التاكسيات الإسلامية

■ أثارت تفجيرات شرم الشيخ الإرهابية ، ولاتزال تثير ، عدة نقاط مرتبطة ، أهمها الإصرار على تعدد مكافحة الإرهاب ، أمنياً وفكرياً ، وعقد مؤتمر دولى لبحث إمكانيات التعاون الدولى فى هذا المجال . لأن الإرهاب أصبح « عالمياً » أو ما تسمى بظاهرة « عولمة » الإرهاب ، فلا يصح أن تكون المقاومة محلياً ، أو معتمدة فقط على « محلية المكافحة » فعولمة الإرهاب ، تحتاج إلى عولمة المقاومة .. عولمة التعاون .. عولمة المكافحة .. وعولمة الإستئصال .

وهذا لا يتناقض مع بدء تنفيذ حملة المكافحة الدولية ، أن تكون هناك على المستوى « المحلى » فى كل بلد « مرصاد » عالى الكفاءة .. عالى اليقظة .. وعالى الوطنية ، ليرصد كل مظاهر وأشكال ودرجات التعصب الدينى ، والتطرف الإسلامى ، من الأفراد والجماعات ، بل على العكس ، إن المكافحة المحلية ، تختصر المشوار أمام المكافحة الدولية .. والعكس صحيح .. المكافحة الدولية ترسخ إجراءات المكافحة المحلية .

وكلنا نترقب بشغف عقد القمة العربية ، فى شرم الشيخ ، التى ستظل « مدينة السلام » والأمن ، رغم أنف الإرهابيين لتدشين منظومة فعل نشطة ، على المستوى العربى ، وتخدم بحركتها الجادة التى لا تغفل ، الاستراتيجية التى سيتبناها العالم للمكافحة العالمية . ولن أطيل كثيرًا فى الكلام عن الدلالات لاختيار مصر عقد هذه القمة العربية للقادة العرب فى شرم الشيخ . الدلالات متعددة ، وهامة .

لكن من ناحية أخرى ، لا يمكن تجاهل الأمر ، فالمدينة المصرية

العالمية ، التى أصبحت فى العالم كله ، رمزًا للسلام ، والجمال ، والسحر الطبيعى ، والهدوء ، وعقد المؤتمرات والندوات التى تخدم البشرية ، لم ولن تتأثر بتفجيرات أو تهديدات ، أو بعض التدمير هنا أو هناك . هى نفسها ، وربما بشكل أقوى ، لترسل للعالم كله ، أنها صامدة وباقية ، وعنيدة ، صمود وبقاء وعناد الشعب المصرى . وأنها وإن كانت ضحية للإرهاب المجرم ، فهى أيضاً الأرض التى ستنطلق منها المسامير الأخيرة لنعش الإرهاب والمؤمنين بأفكاره والممولين لأسلحته ، والراسمين لسياساته وسيناريوهاته « من الداء يصنع الدواء » .

ولأن التعاون الدولى ، أو عولمة مقاومة ، ومكافحة الإرهاب لم تتضح صورته بعد ، وإن كانت كل دولة فى العالم ، قد أعلنت سواء بالبيانات أو مظاهرات شعوبها التنديد بهذا الأخطبوط الذى حركته الفلوس والكراهية ، وعدم القدرة على العيش فى عالم مسالم ، آمن ، يحترم ويحب « الآخـــر » ، أياً كانت اختلافاته العرقية والدينية والفكرية ، والجنسية .

فإننى هنا أود طرح رؤية لمكافحة الإرهاب محلياً فى مجتمعاتنا العربية التى يعتبر الإسلام فيها الدين الرسمى للدولة .

أقترح أن تعيد الحكومة حملتها الصارمة ، الحازمة ، الناجحة ، والتى صدر بها قرار وزارى . وكانت الحملة التى لاقت استجابة فورية من الناس ، إنها حصرت مطلقاً الاستعراض العام للرموز الدينية ، أو كتابة آيات قرآنية على زجاج السيارات .. فقد عاصرنا منذ سنوات ظاهرة تفشت وهى أن كل سيارة ملاكى أو أجرة أو أتوبيس عام أو ميكروباس ، قد استخدم زجاج السيارة لاستعراض فتوى من الفتاوى الرجعية ..

أو دعاوى جهاد متطرفة ، أو التخويف من عدم ارتداء الحجاب .. أو عدم تلاوة القرآن فى كل أوقات الفراغ وفرضه على الناس والركاب بصوت عالى .

حينئذ وقفت الحكومة وقفة مشرفة ، وراقبت جميع هذه المركبات السيارة .. وفعلاً لم تمض أيام معدودة حتى اختفت هذه الظاهرة . لكن يؤسفنى القول إن الظاهرة عادت مرة أخرى ، فى الكثير والعديد من المركبات السيارة ، سواء الملاكى أو الأجرة أو الحكومية ، وكأن شيئاً لم يكن ، وذلك ليس فقط لتفشى اختراق العقول بشكل متزايد ، ولكن لتوقف حملة الحكومة التى كانت متربصة بكل سيارة ، تستخدم أى جزء فيها ، للترويج إلى التعصب الدينى والإسلامى ..

إننى على يقين ، أن الحكومة مثلما نجحت فى الماضى فى هذه الحملة سوف تنجح أيضاً لو أعادتها ، فالمناخ مناسب جدًا .

منذ يومين ، ركبت أحد التاكسيات ، التى كُتب على زجاجها من الوراء : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وتحتها كُتب : « الإسلام هو الحل » و « الحجاب فرض وجهاد » و « الله لا يحب الكافرين » و « أعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .. سائق التاكسى يضع مصحفاً فى السيارة ، وأدعية دينية ، ومسبحة ..

أحسست إننى أركب إحدى السيارات المفخخة المخصصة للإرهاب خاصة أن السائق له لحية ولابس جلباب .. جلست .. وطلبت من سائق التاكسى إغلاق الكاسيت الذى كان مدارًا على إذاعة القرآن الكريم .. نظر إليّ نظرة عدائية .. إرهابية .. متشككة .. مصدومة .. وقال : « أطفى القرآن .. إزاى يا أستاذ .. ده كلام ربنا .. أنت مش مسلم ولا إيه

حكايتك بالضبط ؟! » قلت له : أنا مسلم .. لكن الإسلام لم يقل لك أن تفرض على أحد أن يسمع القرآن ، وبصوت عالى فى الوقت الذى تريد أنت .. لأن القرآن يحتاج إلى أن ننصت له بتركيز واحترام وأن نكون مؤهلين لتأمل كلماته .. وكمان إيه الكلام اللى أنت كاتبه على ازاز العربية ده ؟! مش الحكومة كانت منعت ده » ؟!

نظر إليّ بعدوانية أكثر قائلاً : « أنت اسمك إيه لمؤاخذة » .. قلت له « محمد » .. قال : مش عيب عليك ، يكون اسمك على اسم رسولنا وحبيبنا وشفيعنا يوم القيامة ، وتقول الكلام ده ؟! هم الظاهر لعبوا فى دماغك يا سيدنا ؛ وبعدين حضرتك راكب « تاكسى إسلامى » .

قلت له : تاكسى إسلامى ؟! ومين دول اللى لعبوا فى دماغى ؟! . قال معرفش .. لكن مش هاطفى الكاسيت ولا هاوطيه ، دى حريتى الشخصية فى التاكسى بتاعى .

قلت : حرية شخصية ؟! يبقى المسلم يحط مصحف فى السيارة والمسيحى يضع الكتاب المقدس .. وتعود التفرقة الدينية .. ومادام أنا سامع اللى بسمعه وبصوت عالى ، متبقاش حرية شخصية ! .. قال : لأ أنا حر فى التاكسى بتاعى وأركب كمان اللى أنا عاوزه .. اتفضل انزل !! .

قلت له : أنا مستعجل لأن أختى مريضة فى المستشفى وهتعمل عملية .. وتعبان ومرهق بقالى كام يوم .

قال السائق : يبقى تسبنى أتصرف فى التاكسى على حريتى . وهاعلى كمان الكاسيت أكتر وأكتر .. ده بركة .

قلت له : بركة صحيح لما الواحد ينصت إليه !

أخذت أفكر واهتديت إلى شىء وقلت أجربه .. سألته : أنت هتاخد منى كام من هنا لغاية حدائق القبة ؟ .. قال : أنت راكب من مصر القديمة .. يعنى بالصلاة على النبى تدفع عشرين جنيه .. قلت له : إذا أعطيتك ثلاثين جنيه .. يعنى عشرة جنيه زيادة بالصلاة على النبى .. هل توطى الكاسيت ؟! .. صمت لحظة .. ثم قال : خليهم خمستاشر .. العيال عايزة تدوق المانجة .. قلت : ماشى كلامك .. خمستاشر جنيه عشان المانجة .. لأول مرة يبتسم .. نظر إليّ وأنا أخرج الفلوس من المحفظة وانطلق دون كلمة إلى حدائق القبة .. لم يخفض صوت الكاسيت ولكن أغلقه نهائياً .. نزلت وأعطيته خمسة وثلاثين جنيهاً .. ومشيت .. وجدته يلاحقنى قائلاً : يا سعادة الباشا .. لو عايزنى أمسح اللى مكتوب على الازاز كله .. أمرك .. بس تسعيرة المسح خمسة وعشرين جنيه عشان العيال تاكل لحمة .. وأمسحه دلوقتى حالاً قدامك لو عايز كمان .. ابتسمت وقلت : ومَنْ يضمن لى إنك لن تكتبه مرة أخرى ، بعد أن تاخد الفلوس ؟! .. قال : عيب يا باشا أنا راجل مسلم .. عندى ذمة .

●■■■●

٧ - الزى الإسلامى وخطر السرطان

■ منذ أيام قرأت فى إحدى الجرائد اليومية مقالاً بعنوان الزى الإسلامى يقى من السرطان ، وقد استعانت فيه الكاتبة برأى أحد الأطباء المتخصصين فى الأمراض الجلدية والتناسلية ، والذى أكد أن الزى الإسلامى الذى شرعه الإله ، والذى يستر كل الجسد إلا الوجه ، يقى من السرطان ، خاصة أنه واحد من أندر أنواع السرطانات الجلدية ، وهذا النوع من السرطانات يبدأ ببقع سوداء صغيرة على الجلد ، ثم ما يلبث أن ينتشر فى الجسم كله . إن عدم ارتداء الفتيات للزى الإسلامى ، وخاصة فى موسم الصيف يعرضهن للخطر ، وتخلص الكاتبة إلى أن ارتداء الزى الإسلامى يقى من السرطان فى الدنيا ، ومن عذاب النار فى الآخرة .

لقد بحث هذا الطبيب فى التراث الإسلامى كله ، وأخيرًا اهتدى عقله إلى الوسيلة المثلى للحماية من هذا المرض الخطير ، فوجد ضالته فى ارتداء الزى الإسلامى وليس غيره . ما هذا الاستخفاف بعقول الناس ؟! ما هذا الاستسهال للقفز إلى حلول الغرض منها لى عنق الحقائق وتزييفها ؟! ما هذا الربط التعسفى بين أمور لا يجوز الربط بينها بهذه البساطة المخلة وهذه السذاجة المفرطة ؟!

لقد انتشرت مثل هذه التفسيرات فى الآونة الأخيرة لأسلمة كل شىء فى حياتنا ، وأصبح من الشائع تفسير كثير من الأمراض وإدعاء علاجها والوقاية منها بالطب الإسلامى ، حتى أكثر الأمراض المزمنة والتى لم تتوصل أكثر الأبحاث الطبية والعلمية إلى علاج لها . إن مثل هذه التوجيهات تخدع الناس وتغرر بهم ، وقد تضر بصحة المريض ولا تفيده .

لقد حكى لى أحد الأصدقاء الذى تخصص فى طب وجراحة العيون ، أنه بعد أن أجرى إحدى العمليات ، فوجئ بزميلته الطبيبة فى نفس التخصص تضع قطرات من عسل النحل فى عين المريض ، ولولا إدراك الطبيب لذلك لأصيبت عين هذا المريض بالتلوث والذى كان من الممكن أن تنشأ عنه مضاعفات خطيرة ! .

إن أشعة الشمس تعد من المصادر المهمة التى تحتاجها الكائنات الحية وخاصة الإنسان ، وسكان أوروبا والمناطق الباردة يتركون بلادهم التى تغيب عنها الشمس فى معظم أوقات العام ليتوجهوا فى رحلات سياحية إلى بلاد غنية بأشعة الشمس للاستمتاع بحرارتها ودفئها . إن أحدث الأبحاث الطبية فى مجال الطب النفسى توصى بالتعرض لأشعة الشمس ، كوسيلة من وسائل العلاج لمرضى الاكتئاب ، أيضاً أرجعت الأبحاث التى أجريت فى بلاد مثل السويد وفنلندا ظاهرة الاكتئاب الحاد الذى يؤدى إلى الانتحار إلى عدم التعرض الكافى لأشعة الشمس . إن ساعات قليلة فى فترة منتصف النهار ، والتى تتسرب فيها الأشعة فوق البنفسجية ، هذه الفترة هى التى يمكن تجنبها لاتقاء الإصابة بسرطانات الجلد ، وطريقة التجنب هذه تكون بأساليب مختلفة ، قد لا يكون منها ارتداء الزى الإسلامى ، كالسير فى الطرقات التى يتوافر فيها الظل ، أو الجلوس تحت ظل شمسية .. وغيرهما .

إن هناك أسباباً عديدة أدت إلى حدوث أنواع مختلفة ومتنوعة من السرطانات التى يمكن أن يكون من بينها نوعاً خطيرًا . لقد شُبعت الأطعمة التى نتناولها كالخضروات والفاكهة بالأسمدة المسرطنة ، وأكلنا

الدجاج الذى تم حقنه بالهرمونات القاتلة ، وشربنا المياه الملوثة ، سواء كانت طبيعية أو معدنية . إن مواجهة هذه الأسباب والرقابة الصارمة على مَن يتلاعبون بحياة الناس وصحتهم هى الوقاية المثلى لاتقاء مثل هذه الأمراض ، وليس ارتداء الزى الإسلامى ! .

أود أن أنهى كلامى هنا بـ « فانتازيا صغيرة » . فى فصل الصيف ، يهرول الناس إلى الشواطئ ، يتخففون من أعبائهم ، يتحررون من ملابسهم الثقيلة ، حيث حرية الجسد وسهولة انطلاقه فى الماء ، وخفة حركته فوق الرمال ، فى هذه الحالة إذا التزمت النساء بارتداء الزى الإسلامى - حسب النصيحة التى يقدمها لنا المقال - فسوف يتقين هذا المرض .

وتظل المشكلة هنا فى الرجال ، فهم يرتدون لباس البحر الإسلامى الذى يغطى السرة وحتى أسفل الركبة ، وتبقى أغلب أجزاء الجسم عارية ، هنا سوف يقضى هذا المرض اللعين على كل الرجال المتأسلمين الذين يرتادون الشواطئ ! وقد يموت باقى الرجال المتأسلمين حزناً وكمداً بسبب هذه الكارثة ! وتبقى النساء المتأسلمات وحيدات يتحسرن على رجالهن وعلى حالهن من بعدهم ، فمن الذى سيقهرهن ، ويضربهن ويهجرهن فى المضاجع ؟!

●■■■●

٨ - الإسلاميون فى تركيا .. وتعريض المكتسبات العلمانية للخطر

■ المتأسلمون كما هم ، لا يتغيرون بتغير الزمان ، ولا بتبدل المكان ، فمشكلات الأمس يتحمسون لها ويطرحونها اليوم ، لا يكلون ولا يملون التكرار ، مع أن العقل والمنطق يقول إن كل شىء قابل للتغيير ، فالحقيقة الوحيدة الثابتة هى التغير ، هم فى مصر كما هم فى السودان ، فى الجزائر وباكستان ، لا يختلفون من حيث الدوافع والآليات والأهداف حتى لو غلفت هذه الأهداف بصبغة من الديمقراطية والتسامح والعدالة وحقوق الإنسان . فهم فى النهاية ينتظرون أى موجة عابرة يركبونها كى توصلهم إلى سدة الحكم ، الحكم الإسلامى ، والخلافة الإسلامية .

وإسلاميو تركيا لا يختلفون عن ذلك ، ولا يخرجون عن هذا النص .

إن تركيا الآن تتربص بها بعض التيارات الإسلامية ، والتى تود قلب نظام الحكم بها ، فقد قضت منذ أيام محكمة جنائية فى استانبول بالسجن مدى الحياة على ميكن قابلان المعروف باسم خليفة كولونيا ، بتهمة التخطيط لقلب نظام الحكم فى تركيا . وكانت السلطات الألمانية قد سلمت قابلان الذى يسعى لإقامة خلافة إسلامية فى تركيا ، فى شهر أكتوبر الماضى بعد أن قضى أكثر من عشرين عاماً فى ألمانيا ، واعترض قابلان نافياً هذه الاتهامات ، قائلاً : إنه يسعى لنظام حكم إسلامى فى تركيا فقط .

وهناك بعض الأحزاب كحزب الوطن الأم المعارض الذى يحاول مغازلة بعض التوجهات الإسلامية فى تركيا ويعمل على إرضائها من أجل

رفع الحظر المفروض على الحجاب فى الجامعات وبين الموظفات فى المصالح الحكومية ، والإغراء الذى يقدمه رئيس حزب الوطن الأم هو أنه بالتعاون مع حزب العدالة والتنمية ، وتصويت كل من أعضاء الحزبين معاً ، يمكن الحصول على أغلبية الثلثين اللازمة لأى تعديل دستورى ، ولكن الطيب أردوغان رفض هذا العرض .

فى عام ١٩٩٥ تمكن حزب الرفاه الإسلامى من الوصول إلى السلطة ، ولكنه لم يتوافق مع النظام العلمانى فكان مناهضاً لهذا النظام ، لذا فقد تم حظره فى عام ١٩٩٨ .

إن أردوغان نفسه كانت لديه ميول لإجراء بعض التعديلات على حساب الدستور العلمانى ولصالح التوجهات الإسلامية التى ينتمى إليها ، إلا أن الذى منعه من فعل ذلك هو رغبته فى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبى .

وهكذا فإن تنامى التيارات الإسلامية فى تركيا يشكل تهديدًا للمكتسبات العلمانية ، إن هذه التيارات تشغل وتلهى الناس ، بالقضايا الشكلية غير الجوهرية ، فبدلاً من التركيز على قضايا مثل البطالة والسكن والعلاج وغيرها نجد أنها تركز على قضايا مثل إرتداء الحجاب أو عدم إرتدائه ، إن الكثير منا يتذكر عام ١٩٩١ حيث أثارت النائبة «مرة قاوقجى» وحجابها ، تلك الأزمة الكبيرة التى تسببت فى كثير من اللغط والإرباك .

إن التوجهات الإسلامية فى تركيا تشكل عائقاً كبيرًا فى قبول تركيا عضوًا فى الاتحاد الأوروبى ، فتركيا تسيطر عليها رغبة قوية فى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبى لإنعاش اقتصادها وحل كثير من المشكلات الأخرى ، لذلك فهى تبذل قصارى جهدها للوصول إلى تحقيق هذه

الرغبة ، ولكن أوروبا لديها مخاوف عديدة من انحراف التوجهات الإسلامية وما يمكن أن تنذر به من أخطار .

لقد أعلن بعض قادة أوروبا عن مخاوفهم ، وكان على رأسهم هلموت كول ، وفاليرى جيسكار دستان ، حيث قالا : إن تركيا لا تصلح للانضمام للاتحاد الأوروبى بسبب المشكلات التى يمكن أن يثيرها المسلمون . وهناك - من الجانب الآخر - مَن يرى أن تركيا إذا رُفضت ولن يتم انضمامها إلى الاتحاد الأوروبى ، فمن المحتمل أن يتحول الإسلام المعتدل الموجود فيها الآن والذى يمثله حزب الفضيلة والتنمية إلى صورة أكثر تزمتاً وتطرفاً ، وهذا بدوره سيرتد على الدول الأوروبية بدرجة كبيرة .

لقد تحولت أوروبا إلى العلمانية ، ونجحت فى فصل الدين عن الدولة ، ومنذ ذلك الحين وهى تخطو خطوات مهمة على طريق الديمقراطية وفى مجال حقوق الإنسان . أما تركيا ، وبعد هذا الميراث العلمانى ، الذى تحقق على يد مصطفى كمال أتاتورك ، ومنذ إنشاء الجمهورية التركية عام ١٩٢٣ ، فقد حققت بعض المنجزات وطفرت بعض الطفرات ، ولكن خطواتها تتعثر من وقت لآخر ، بسبب تدنى حقوق الإنسان والمسألة الكردية من ناحية ، ومن ناحية أخرى بسبب تذبذب التيارات الإسلامية وتململها من النظام العلمانى ، فهذه التيارات تلقى صعوبة فى هضم هذا النظام وتمثله .

إن هذا المشهد من شأنه أن يؤدى إلى تأخر تركيا وتخلفها وفقداتها لكل المزايا والمكتسبات التى حققها لها النظام العلمانى .

●■■■●

٩ - بدعة الليبرالية الحنبلية لحزب الغد

■ كنت حينما يسألنى أحد عن د. أيمن نور مؤسس ورئيس حزب الغد ، كان جوابى دائماً : «أننى حقاً لا أعرفه على وجه التحديد والدقة» . وربما يأتى حرصى على الدقة من كونى أكاديمياً اشتغلت كثيرًا - ومازلت - بالبحوث العلمية التى من مزاياها التى نتعلمها توخى الحذر فى الحكم ، ومحاولة رؤية الأبعاد المختلفة للصورة قبل الإدلاء برأى حاسم أو حكم واثق ، وإذا كان المشتغل بالبحث العلمى مثلى لديه استعداد فطرى للدقة ، لكننى بعد متابعتى لتصور د. أيمن نور للمستقبل فى مصر « الغد » ، وذلك من خلال حملته الانتخابية أستطيع أن أقول رأيى بدرجة كبيرة من الثقة ، وهى ثقة استقيتها من كلامه هو شخصياً ، وليست مجرد تكهنات أو استنتاجات من الفراغ .

لقد دهشت ، بل وصدمت من وصفه لحزب الغد الذى أسسه ورأسه ، ومنه يرشح نفسه لرئاسة مصر « الغد » .. قال د. أيمن نور : « نحن إذا جئنا إلى الرئاسة وإلى الحكم فإننا لن ننتقم من أحد ، ولن نعلق المشانق لأحد ، ولن نقطع الرقاب ، فليس لدينا وقت للانتقام . نحن حزب الليبرالية الأزهرية المستمدة من الأزهر الشريف ، نضع عمامة ابن حنبل على رؤسنا .. القرآن دستورنا .. القرآن دستورنا على اليمين ، والقوانين على اليسار » .

إننى أتذكر أن د. أيمن قبل ترشيحات الرئاسة وقبل تعديل المادة ٧٦ من الدستور ، وقبل حملاته الانتخابية ، كان يقول كلاماً مناقضاً لتصوره

الانتخابى الذى يردده اليوم لكسب الأصوات ، وأتذكر مثلاً أنه كان يتفوه بعبارات مثل: « الدين لله والوطن للجميع » أو « مصر الغد دولة مدنية » ، « فصل الدين عن الدولة » ، « عدم تسييس الدين » ، « انتقادات ليبرالية لخطورة تسييس الإسلام » .. أشياء مماثلة ، كلها تصب فى خطاب الدولة المدنية الليبرالية الحديثة العصرية المنفتحة .

الآن يأتى خطابه فى الحملة الانتخابية للرئاسة ، خطاباً لا يأتى إلا من أصحاب المرجعيات الدينية ، بل من أكثر أصحاب المرجعيات الدينية تزمتاً وتشددًا ، وهو « ابن حنبل » ، حيث نعلم كلنا أن هناك مرجعيات دينية إسلامية أقل تزمتاً وتشددًا .

ودعونى أعلق بدءًا على نبرة الخطاب «الأيمنى النورى» : « لن ننتقم.. لن نعلق المشانق .. لن نقطع الرقاب » ، ما هذه النبرة الإرهابية ، ما هذا التخويف المستتر فى كلمات النفى ؟ « انتقام » و « مشانق » و « رقاب » ، إنها لغة التيارات الإرهابية المنافقة التى تريد أن تخفى رغباتها الحقيقية ولكن بلغة مكشوفة تفضح أكثر مما تستر .

ثم ما معنى « الليبرالية الأزهرية » ؟ إن المصطلح لا وجود له فى جميع المراجع السياسية ، إنه مصطلح اخترعه حزب الغد ليكسب به أصوات المتأسلمين وأنصار خلط أوراق الدين ، ومَنْ يمثلون الإسلام ومؤسساته الدينية « الأزهر » وكذلك أصحاب التمهيد لخلق دولة دينية دستورها هو القرآن .

لا أعتقد أن واحدًا من جماعة الإخوان المسلمين المحظورة كان سيتكلم بمرجعية دينية إسلامية أكثر من كلامك يا د. أيمن ، هل أنت

« إخوانجى » فى هذه المرحلة ، أكثر من الإخوان أنفسهم ؟ أو إسلامى دينى أكثر من ورثة الخمينى ؟ والأهم من كل هذا لماذا اخترت « ابن حنبل » أكثر الأئمة تزمتاً ؟ .

قد يقول البعض إن كلام د. أيمن نور فى حملته الانتخابية يتسق مع « لعبة السياسة » التى لا تعرف المبادئ الأخلاقية ، ولكن يحكمها شعار « اللى تكسب به العب به » ، والمعيار هو « الغاية » أى الوصول إلى الحكم وكرسى الرئاسة بأى ثمن وأى تحالف ، وبالتالى فهو ينهج الدرب السياسى المعروف والمشروع فى لعبة السيطرة والحكم وهو التحالف مع أى أحد ، حتى ولو الشيطان نفسه ، لو كان معنى ذلك الفوز فى معركته .

كنت أرد بالقول إن التحالفات المؤقتة فى عالم السياسة معروفة ، وتمارس فى كل بلاد العالم ، وأن المبدأ الميكيافيلى « الغاية تبرر الوسيلة » سائد فى العمل السياسى عن أى مجال آخر ولكن فى رأيى أن التحالف مع الشيطان أكثر أماناً وأكثر سلامة وأكثر فائدة من التحالف مع التيارات الدينية والجماعات المنظمة ، والإخوان المسلمين المحظورين ، فالشيطان قد يحرض النفوس الضعيفة المستهترة ، مترهلة الضمائر بارتكاب بعض الخطايا ، لكن الشيطان لا يستهدف « الخطر الأكبر » وهو قيام الدول الدينية وزرع ألغام التفرقة الدينية والعمل على سيادة مرجعية دينية محددة ، هذا إذا لم تكن التيارات المتأسلمة والجماعات الدينية قد اشتغلت على « الشيطان » نفسه وغيرت طبيعته وأهدافه وأسمته « الشيطان الإسلامى » مقابل « الشيطان الكافر » أو « الشيطان المرتد » أو « الشيطان العلمانى » أو « الشيطان المستورد من الغرب » .

للدكتور أيمن نور فى حملته الانتخابية أن يضع برنامجه الانتخابى كما يريد ، وأن يعمل تحالفاته كما يريد ، لكننا نقول إن الارتداد بمصر باستخدام الدين ومغازله أنصار الدولة الدينية إلى حد الالتحام فى الغايات عن طريق الليبرالية الأزهرية المزعومة وعمل القرآن هو الدستور فهذا ضد كل انجازات مصر الحضارية ، وتمهيد لعصر يلعب بالنار ، وليٌّ للمصطلحات والحقائق السياسية ، وضحك على عقولنا واستهتار بطموحات المصريين المتعطشين لعهد يوحدهم لا يفرقهم ، يجمعهم ليقويهم وليس يشتتهم ليضعفهم وأخطر تفرقة وأبشع تشتيت هو الملتحف بعباءات الدين .

لقد صرح د. أيمن أن حكومة الظل الائتلافية التى كونها هى « مصر الغد » وأنا أقول له لتبق حكومتك فى الظل د. نور ، ولا نريد لحكومتك أن ترى النور ، إننى كمصرى أرى أن تقدم وطنى مرهون بعدم اللعب على الأديان بل بفصل الدين عن الدولة وإعلاء شعار « الدين لله والوطن للجميع » .

● ■ ■ ■ ●

١٠ - نيولوك رمضان .. التصوير بالحجاب + ٢ مليون جنيه = مسلسل « حلال » !

■ لأن رمضان فى مجتمعاتنا ، شهر (عكس الحكمة منه) ، التسلية عا القاضى وعا المليان .. ومسابقات يندهش أى عاقل كيف تخطر على قريحة المعدين ونحن فى سنة ٢٠٠٥ ، السنة التى نترقب فيها بشغف طرد الأفكار التقليدية من حياتنا كلها وليس فى الإعلام والتليفزيون خاصة .. رمضان عندنا (عكس الحكمة منه) ، شهر الدم الثقيل المستتر طوال العام ، وعلى الجمهور الغلبان الذى يريد بعض الترويح بعد تعب الصيام ، أن يتحمل هذا الدم الثقيل من مقدمى البرامج والمذيعات التى تضحك على طول وبشكل كأنها تتحدث إلى أطفال متخلفين عقلياً ، أو سذج .. رمضان هو شهر (عكس الحكمة منه) ، الإستهلاك الزائد عن أى شهر آخر .. والدافع منه (عكس الحكمة المبتغاه) ، هو الاستعراض ، والفشخرة ، والقيم العقلية الاستهلاكية ، التقليدية التى تجعل احتفالنا برمضان ، هو احتفال بملء المعدة بالأكل والشرب والمكسرات ، والحلويات ، وملء الوقت أو تضييع الوقت فى كلام ومسلسلات ، وإعلانات صابون ، وزيوت ، ويتامى مطلوب إعالتهم ، وحكايات وحواديت ، وأزمات طلاق ، ومشاكل زواج ، وصعوبة التعامل مع المراهقات ، واكتشافات خيانات ، والبطلة الواعية تقاوم الفساد ، وحب رومانسى سطحى ، والهوة بين الأجيال ، وصراع الحب مع قيم الأهل ومنطق الفلوس ، كلها خلاص « تيمات » مللنا منها ، إلى حد الإنهاك .. وأنا أفهم هذا التكرار الممل ، والأفكار التى تفتقد التجديد ، وتكسر القيم البالية التى لا تصلح للنهضة ، وأفهم ذلك الخيال العقيم الذى أصابه الجدب

والجفاف فى الرؤية ، والتجريب ، والمغامرة مع « تيمات » جديدة ، تساعدنا فى هذه المرحلة على النهوض وليس فقط شهر رمضان . فالكُتاب الذين يكتبون طوال العام ، أو فى رمضان ، لازالوا يتبنون القيم الغادية التقليدية ، (حواديت الفساد والجواز والطلاق، والحب المعقد) .. لا شىء يصدم التفكير .. لا شىء يثير الدهشة غير فساتين الممثلات ، لا شىء يتحدى آليات القيم التى تجعلنا متخلفين ، ومتعصبين ، لا شىء ممتع يجعلنا نشعر أن هذه الدراما الرمضانية ، فعلاً قد قررت أن « تصوم » عن كل المآسى السابقة التى تحدث لنا فى التليفزيون وعلى الفضائيات ، ليس فقط فى رمضان ، ولكن على مدار العام .

لكن هذا العام ، بدأ المنتجون فى تبنى موضة جديدة سوف تزيد من أرباح الدراما التليفزيونية . هذه الموضة ، هى تكثيف التفاوض مع الفنانات المعتزلات ، المحجبات ، اللائى منذ عشرين سنة اختفين من على شاشة الفن ، وظهرن على شاشة الدعاية الدينية الإسلامية ، والجلسات الخاصة للفتاوى الدينية للنساء ، واللائى تفرغن لهداية غيرهن من الفن الآثم الحرام الزائل ، فى دنيا زائلة ، فانية ، غرورة . والتفاوض من أجل أن تقبل هؤلاء الفنانات اللائى منذ عشرين سنة ، وصمن الفن بالعار ، والكفر ، والانحلال ، والضلال ، « التمثيل فى دراما رمضان » .

ولقد دهشت أن بعضهن قد وافق ولكن على شرطين .. الأول : أن يتم تصوير مشاهد الممثلة المعتزلة سابقاً ، الناهية عن الفن سابقاً ، وهى ترتدى الحجاب ، الزى الذى تعتقد أنه هو الذى سيرضى الله عنها ، ويدخلها جنته . والشرط الثانى : أن يقدم منتج المسلسل ، تعويضًا ماديًا مغريًا جدًا جدًا . وبالطبع وافق المنتجون على شروط الفنانات المعتزلات

المحجبات منذ عشرين سنة ، واعتبرن ذلك نصرًا عظيماً مبيناً من الله ، سوف يمطرهن بالفلوس . وهذا هو بيت القصيد .

فالمسألة إذن ، إذا كان الإنسان مازال يتمتع بقواه العقلية الرشيدة ، التى لم تفسد بتناقضات هذه المجتمعات ، أن « العملية » كلها « فلوس » فى « فلوس » مش مسألة مبدأ ، وقناعة ، وهداية ، وتفرغ لعبادة الله بدلاً من اثم الفن الرجيم ، وحرمانيته التى جعلت هؤلاء الممثلات يتركن الشاشة الصغيرة والكبيرة ، ويزهدن الشهرة ، والفلوس ، وانحلال الإبداع الذى به اختلاط بين الرجال والنساء ، ويتكلم عن مواضيع دنيوية لا يبالين بها .. فهن قد حسمن البقية الباقية من حياتهن ، بعد أن فعلن كل الأشياء فى الفن قديماً ، أن ينشغلن فقط بالمواضيع غير الدنيوية .. أى الموت وعذاب القبر ، وتغطية النساء ، وطاعة الأزواج بلا مناقشة ، وقضاء الوقت فى قراءة القرآن ، وتلقى وتدريس الفتاوى الوهابية المصدرة إلينا !؟

وفعلاً ، سوف تعرض الفضائيات ، بعض الممثلات المعتزلات المحجبات فى مسلسلات رمضان، ولكن طبعاً بعد الاستجابة لشروطهن .. التصوير بالحجاب والفلوس المغرية ، التى وصلت إلى ٢ مليون جنيه مصرى .. وأقل مبلغ مليون ! .

فى هذه الحالة ، الفن حلال .. الفن حلو .. الفن يرضى ربنا .. الفن جميل للى عايش فيه .. الفن أسمى شىء فى الوجود ، وأيضاً فى « الجيوب » .

هل ارتداء الحجاب والمليون جنيه أو الاثنين مليون جنيه ، يقلبان الحال رأساً على عقب!؟ ويجعلان الحرام من عشرين سنة ، حلالاً الآن!؟

خاصة فى زمن الأسعار كل يوم بتزيد ، وعصر يخلق طموحات مادية إضافية ؟! هل التفرغ للعبادة ، وقراءة القرآن، وإعطاء الدروس ، والإفتاء ، وتغطية مفاتن الشعر، والجسم ، وطاعة الزوج بلا مناقشة ، وتقديم البرامج الدينية باللغة الإسلامية ، والمصطلحات الدينية ، « مبقاش جايب تمنه » والعملية وقفت على هؤلاء المعتزلات المتطاولات على الفن ، « بالخسارة » ؟ أم أن الناس ، خلاص فهموا اللعبة اللى بيلعبوها عن جهل أو عن عمد ، وفهموا الدوافع النفسية المَرضية ، التى جعلتهن « يضعن كل الغسيل غير اللائق على حبل الفن » ؟ .

ذلك الفن ، الذى أضفى عليهن « هالة » لا يستحقونها .. وأعطاهن شهرة ، وفلوس ، وقيمة أكبر من حقيقتهن . الفن الذى ، تجرأن على وصفه بالضلال ، والانحلال ، ومخالفة تعاليم الله ، ومغريات كافرة ، الآن « يرجعن إليه » .. لماذا ؟ لا أدرى ؟ ولماذا الآن ؟ لا أدرى .

كل الذى يهمنى قوله ، ويهمنى أن يعلمه الناس ، أن رمضان هذا العام ، مختلف .. فقد أرجع لنا الممثلات اللائى تستحق موهبتهن الأوسكار ، تلك الموهبة التى تشترط الحجاب وعلى الأقل مليون جنيه عشان تطلع ، وتجيب فلوس للمنتجين .

فعلاً .. الفلوس دى ياما بتعمل العجب !

وعلينا فهم المعادلة .. الحجاب + مليون جنيه = فن حلال مصور وفقاً للشريعة الإسلامية ، وشروط الداعيات المؤمنات بالله ، التصوير بالحجاب ، وعلى الأقل مليون جنيه .. أعتقد أن هذان شرطان لا يكفيان . كان لابد أن تشترط الممثلة التى سترجع لنا بعد عشرين سنة وتطفئ نار

اشتياقنا لها ، أن تشترط أنه إذا جاء وقت الصلاة ، أثناء التصوير ، فلابد أن يتوقف كل شىء ، وتذهب للوضوء والصلاة وقراءة القرآن بعض الوقت .. ثم تعود للتصوير من أول وجديد . وكان لابد أن تشترط احتواء السيناريو والحوار ، على مفردات إسلامية كثيرة بقدر الإمكان ، وأماكن إسلامية متنوعة بقدر الإمكان ، وأدعية دينية فى مواقف درامية بقدر الإمكان ، وأن ينادون عليها فى الإستوديو وفى المسلسل بكلمة « الحاجة » بقدر الإمكان .

التعليق الأخير عندى ، هو أن الفن ، أو الإبداع ، مثل الحب ، أقوى من كل شىء .. من الحياة .. من التقاليد .. من لعبة السياسة .. من كلام الناس .. من عصيان للعائلة . لكن هذا غير مؤكد لطبيعة هؤلاء الممثلات المعتزلات المحجبات اللاتى وضعن شروطهن للعودة إلى الفن . أعتقد أن لو كان لسه فيه حتة صدق ، كل واحدة منهن ، ستقول عند دخولها الإستوديو لأول مرة ، منذ عشرين سنة ، ولكن دون أن يسمعها أحد : « ما أحلى الرجوع إليه » .

● ■ ■ ■ ●

١١ - لا مستقبل للإخوان المسلمين على أرض مصر

■ منذ إنشائها فى الإسماعيلية على يد حسن البنا ، فى ٢٨ مارس ١٩٢٨ ، وحتى الآن ، لم تغير جماعة « الإخوان المسلمين » شيئاً من دوافعها وأساليبها وأهدافها ، ومن الأخطاء الكثيرة والعديدة التى ظلت ملتصقة بفكر هذه الجماعة منذ ١٩٢٨ وحتى ٢٠٠٥ ، رغم أنها عاصرت الحياة السياسية المصرية وجوهر الشعب المصرى على مدار ٧٧ عاماً ، إلا أنها مازالت تعتقد أن مصر ستكون مقرًا رئيسياً لإقامتها ، وأن الشعب المصرى تحت ضغط الأزمات السياسية والاقتصادية المتراكمة ، سوف يقبل « الإخوان المسلمين » حكاماً على أرضه .

بل إن الإخوان المسلمين ، ويعتبر هذا من إفرازات فكرهم المنغلق ، القاصر ، يزداد اعتقادهم بأن لهم مستقبلاً مزدهرًا على أرض مصر ، وأن المسألة فقط هى مسألة وقت لكى يحتلوا الشعب المصرى ، الإخوان قادمون « قادمون » ، هذا هو إيمانهم الراسخ ، ودفعهم هذا الإيمان إلى العمل بدأب وصبر دون ملل أو كلل لتجميع صفوفهم وتنظيم أعضائهم والنزول إلى الناس فى التجمعات الجماهيرية واستغلال كل فرصة أو كل مصادفة لبث سمومهم ، وإن كانوا قد نجحوا ، فالسبب أن سمومهم مغلفة بالعسل الحلو وسط شعب ذاق مرارة عصر وراء عصر ، شعب لديه حساسية خاصة تجاه الإسلام وهيبة اللغة الدينية .

إذا أحس الإخوان المسلمون أن من مصلحتهم فى وقت ما الاختفاء

والكمون والتراجع فعلوا ذلك ، وإذا استشعروا أن هناك من الأزمات والقلاقل والبلبلة والثغرات خرجوا من الكمون ، وأعادوا دراسة الواقع ودخلوا إلينا من كل ثغرة ممكنة ، إن الانتهازية هى « الدينامو » الذى يحركهم ويحدد مساراتهم ، وتتباين درجات الانتهازية وتكون ذروتها أمرين لا غنى عنهما .. الأول هو مبدأ « التقية » ، والثانى هو مبدأ « التحالف » التكتيكى .. أى الوقتى مع تيارات يخالفونها ويعادونها ويضعون قيادتها على قوائم الاغتيال .. لكنهم وفقاً للانتهازية يتغاضون عن ذلك لأن تحالفهم المؤقت ، سيكسبهم أرضاً جديدة أو يدعم من موقفهم .

إن فكر جماعة الإخوان المسلمين يسمح لهم بالقيام بكل سلوك لا هو من الضمير الإنسانى ولا هو من جوهر أى دين ، ولا هو من محبة الوطن الذى يأكلون من خيراته ويرعاهم بينما هم يدمرونه ، ويفرقونه بأخطر شىء ، وهو الدين « كل شىء مباح » مادام سيختصر الطريق إلى مقعد الحكم ، والسيطرة ، هم يؤمنون بالمبدأ الميكيافيلى « الغاية تبرر الوسيلة » والوسيلة المعتمدة رسمياً من قياداتهم على مر التاريخ ، هى الاغتيالات وسفك الدماء وخطط الخراب والتفجير وإشاعة فتاوى معتمة وبث روح الخوف والإرهاب وتمجيد الشكليات الدينية وكراهية الناس الذين يخططون لحكمهم بالسيف .. كل هذا حلال ، لأن الغاية بالنسبة إليهم أنبل الغايات ألا وهى الجهاد لنشر دين الله وكلام الله .. وفى الحقيقة هو جهاد لنشر دينهم هم الخاص ، كلام الله برىء من العنف والسيف والتحكم باسم الدين وتخويف الناس وتدمير الأوطان تحت اسم حماية الأوطان .

وعدت جماعة الإخوان المسلمين الحكومة بأن تهدئ من أنشطتها وتقلص حركتها مقابل شرطين أساسيين .. الأول : أن تسمح لهم بإقامة حزب « مدنى » . والثانى : هو الإفراج عن عدد من كوادرهم .. ولست أفهم كيف وهم الجماعة المؤسسة « دينياً » وغايتها إمارة إسلامية ممتدة ، والتى لا تفعل شيئاً إلا التحدث باسم الدين وباسم الله وكلام الله وتعاليم الله والثوابت الدينية والشريعة الإسلامية والسنة النبوية والغزوات التاريخية تحت علم الإسلام .. وتحويل اللغة « المدنية » التى تعترف بالصواب والخطأ إلى لغة « دينية » ليس فيها إلا الحلال والحرام وصغائر الذنوب والكبائر وعقاب الله ، وغضب الله .. كيف يمكن لهذه الجماعة أن تصبح بقدرة قادر « « حزباً مدنياً » ! .

أليس وضع الشروط لتهدئ من أنشطتها وحركتها أكبر دليل على استمرار الانتهازية وسياسة الصفقات واستغلال الفرص ومبدأ التهديدات الإرهابى ؟ .

إن الشعب المصرى لن يسمح لهذه الجماعة بالحكم والسيطرة مهما كان عددهم ومهما كانت قوة تنظيماتهم .. والشعب المصرى لن ينسى تحت وطأة أى أزمات أنهم أصحاب الاغتيالات وسافكو الدماء على أرض شعب مسالم .. لن يسمح الشعب المصرى لأى جماعة أخرى تؤسس على الدين بالحكم ، فالشعب المصرى بالفطرة لا يجعل الدين آداة للتفريق بين أبنائه وآداة لأهداف شخصية تبدأ بالحكم والسيطرة على السياسة والاقتصاد والثقافة .

يجب على الشعب المصرى أن يكون واعياً إلى أن الدين واحة روحانية ودافع للتقوى وتجنب التفريق ونشر المحبة والتعاون وإعمار الكون بالعمل الشريف و « حماية الوطن » من المتسترين وراء اسم الله والرسول والمقدسات ، وهو تستر هدفه تخريب الوطن ونهب موارده ، ثم الجلوس على « تله » يوزعون على أعضائهم الغنائم والنساء وهم مرتاحو الضمير ، ذلك الضمير الذى يدعون أنه نابع من كلام الله .

● ■ ■ ■ ●

١٢ - بأى حق ينوب الإخوان عن الشعب المصرى ؟!

■ قرأت فى الأيام القليلة الماضية ، عدة مقالات من زوايا مختلفة ، عن جماعة الإخوان المسلمين المحظورة ، تعكس تلك المقالات ، استنكارًا واضحاً ، ورفضاً مباشرًا للتصرفات الأخيرة التى قامت ، ومازالت تقوم بها ، جماعة الإخوان .

إن قيادات هذه الجماعة ، المتمثلة فى مكتب إرشاد الجماعة ، المكون من ١٥ عضوًا ، تعقد اجتماعات برئاسة مرشدها العام محمد مهدى عاكف ، لابتكار آليات جديدة ، أو تحديث آليات قديمة ، لمواجهة الحكومة وتصعيد تهديداتها وتكثيف دورها ، على الحملات النشطة اليقظة التى تتخذها الحكومة متمثلة فى أجهزة الأمن .

وقد صرحت قيادات الجماعة ، أن كل ما تفعله الحكومة ، من اعتقال لكوادرها ، وفض مظاهراتها فى القاهرة والمحافظات ، لن يهدئ غضبها ، ولن يقلل من تعبئتها الحماسية المباشرة للناس ، وأنها مستمرة فى نشاطها حتى لو لم يبق منهم عضو واحد (إدعاء البطولة وتمثيل دور التضحية) .

إن هجوم الجماعة بهذا الشكل على المجتمع المصرى ، وحكومته ، والأجهزة المنوط بها حمايته ، من نشر الفكر الدينى المتطرف ، واستخدامه للصراع على الحكم ، وأيضاً اللجوء إلى علاقاتهم بالقوى الخارجية فى التصدى للدولة (بدأ اتصالهم بالخارج منذ عام ١٩٥٤)

يفقدها بعضاً من القطاعات التى تم استقطابها بالفعل وتجنيدها وإلغاء عقولهم كذلك يفقدها بعض القطاعات ، التى كانت « محايدة » تجاههم ، أو تميل للوقوف معهم ، ولو معنوياً لا دينياً أو سياسياً .

إن الإخوان مصرون على عدم التعلم . من التاريخ ومصرون على تمزيق وحدة المجتمع المصرى ، على أساس الدين ، ومصرون على أنهم المبشرون الأصلح لتطبيق شرع الله وأحكام الإسلام وتعاليم الدين .

أكثر من هذا ، فى هجومهم الأخير على الحكومة ، يقولون إنهم سيواصلون « الجهاد » و « المعركة » حتى ينال « الشعب المصرى حقوقه » .. هل الإخوان يخوضون معركة الجهاد ويعدون الحملات ويرتبون المظاهرات ويجندون الناس ، وينشرون الفتن ، ويتلقون التمويل الخارجى ، ويبثون الإرهاب ، ويشوهون الإسلام ، ويضعون سيناريوهات اختراق العقول ، وينتهزون الفرص لبث سمومهم ، ويتعاونون مع التيارات الدينية ، كل هذا وأكثر من أجل « أن ينال الشعب المصرى حقوقه » كما قالوا أخيرًا ! .

إنها كذبة أخرى تضاف إلى قائمة الأكاذيب المفضوحة التى يمارسونها منذ تأسيس جماعتهم عام ١٩٢٨ .

ربما كانوا يقصدون ، أنهم سيظلون فى معركة الجهاد ، حتى « ينال الشعب المصرى حقوقه فى تجربة الحكم بالسيف ، والكذب والسكاكين ، وسفك دماء أى معارض ، والغرق فى بحور الدم التى تستهويهم » .

بأى حق يتكلمون بالنيابة عن الشعب المصرى ؟ بأى حق « ينصبون أنفسهم أوصياء » على حقوق الشعب المصرى ؟ بأى حق يتصورون أن الشعب المصرى بهذا القدر من السذاجة ، حتى يصدق جملة لا محل لها من الواقع ، وغريبة ومريبة . وتلوى عنق الحقيقة ؟ .

بأى حق يخوضون حربهم هم أى الإخوان المسلمين ، ويدعون أنها حرب الشعب المصرى كله ؟ إلا إذا جاءتهم معلومات من مصادر موثوق بها ، عالية المستوى أن الشعب المصرى لا قدر الله قد أصبح كله « إجوانجى » ؟!

حاشا لله الف مرة .

إنهم يلعبون على أوراق عدم التطبيع مع إسرائيل ، ويلعبون على ورقة الرفض المطلق للتدخل الأمريكى ، ويتاجرون باحتلال المقدسات مثل المسجد الأقصى .. ويلعبون بأية ورقة مؤقتة ، يمكن أن يربحوا بها ، ولو شخصاً واحدًا .

كل هذا ، ليس من أجل أن ينال الشعب المصرى حقوقه ، ولكن من أجل أن يحكموا الشعب المصرى ، ويخنقوا صوته وحضارته المستنيرة .

إن مشكلة جماعة الإخوان المسلمين المحظورة ، ليست فقط فى أنها « محظورة » بالفعل دستورياً وأمنياً ، وأنها تخطط للهجوم المستمر المتجدد على الدولة والبحث عن شرعية مستحيلة ، وأنها لا تفهم أن ألاعيبها السياسية مكشوفة ، مثل نيابتها عن الشعب ، وتمثيل دور

الضحية التى يعتدى عليها ويعتقل أفرادها ، دون وجه حق .. تصوروا دون وجه حق !؟ شىء غريب حقاً لكن أيضاً وبشكل أساسى إن أفكارها ضد سُنّة الحياة ، وطبيعة البشر ، وقانون التجدد والتحسين والتطور ، وكلها مهما طال الوقت سوف تسود لأنها تنسجم مع الحرية ، والاستنارة ، والعدالة ، والتسامح ، والمحبة ، وعدم الزج باسم الله للسيطرة . وهذه كلها أمور لا يعرفها قاموس الإخوان المسلمين ، قانون الحياة أكبر منهم .. ليتهم يعرفون هذه الحقيقة البسيطة .

●■■■●

١٣ - النيولوك للإخوان والجماعات الإسلامية

الجهاد والفتاوى وبركة للمعارضة على أنغام الموسيقى الشرعية

■ لا أدرى بالتحديد ، لماذا يصيبنى الغثيان ، وأنا أتابع على صفحات الجرائد ، كيف أن المرشحين لإنتخابات الرئاسة من أحزاب المعارضة ، « يهرولون » إلى طرق أبواب الإخوان المسلمين .. فى الحقيقة ، تنتابنى الحيرة . أعرف أن البعض ، ربما يسمى السياسة « فن إثارة الحيرة » ، أو « فن إثارة الغثيان » لكل إنسان له مبدأ لا يتنازل عنه .

لكن ما يفعله مرشحو أحزاب المعارضة ، فى حملاتهم الإنتخابية ، بصدد « طلب » تأييد ، ودعم ، ومؤازرة ، الإخوان ، يتم بشكل يثير الاشمئزاز . لقد وصل الأمر بشكل فج ، إلى أن بعض هؤلاء المرشحين قدم وعودًا للجماعة المحظورة ، بأن يجعلها حزباً سياسياً معترفاً به ، ويمنحها كل الحريات فى الحركة التى هى « إخونجة » المجتمع المصرى ، ويعوضها عن كل الحظر الذى وقع عليها . وكأنها جماعة شاءت بها الأقدار أن تكون الضحية ، والمجنى عليها ، وفى حاجة إلى تعويض كبير .

ما هذه الهرولة إلى إكتساب تعاطف ، و « بركة » الإخوان ؟ يشعر الإنسان ، وكأنهم جماعة مكشوف عنها الحجاب ، لها صفات خارقة ، وتملك أن تمنح المرشح فلان « بركاتها » ، وأن تنزل على مرشح آخر « لعناتها » .

ما هذه السذاجة السياسية ، التى ترتدى تحتها غطاءً من الخبث السياسى . ألا يعلم هؤلاء المرشحون « المهرولون » أن الإخوان المسلمين

جماعة منذ إنشائها على يد حسن البنا عام ١٩٢٨ ، « محظورة » دستورياً وسياسياً ؟ ولولا الأزمات الاقتصادية والاجتماعية ، لما كان لهم أنصار .

ألا يعلم هؤلاء المرشحون « المهرولون » ، أن الإخوان جماعة ، تراقبها الدولة ، ويطاردها الأمن ، ويقف لها المستنيرون من الشعب المصرى بالمرصاد ؟ .

ألا يعلم هؤلاء المرشحون « المهرولون » ، أن الإخوان ، لا كلمة لهم .. لا وعود لهم .. هم فى كل مكان ، فى العالم انتشروا فيه بفضل فلوسهم ، وحرصهم على التنظيم ، لا يتورعون عن تغيير أساليبهم التقليدية ، وتصريحاتهم المعلنة ، ووعودهم التى تلبس ألف وجه ، إذا كان هذا ، سيقربهم من كرسى الحكم ولو مترًا واحدًا . هم يغيرون جلدهم ، حسب الطقس السياسى ، والمناخ المرصد من خلال أجهزتهم ، وجواسيسهم ، وتوقعاتهم ، واستفادتهم من دروس الماضى .

إن « هرولة » غالبية مرشحى الأحزاب المعارضة ، لينل رضاء الإخوان المسلمين ، « قلة قيمة » لهؤلاء المرشحين .. و « إهانة » لا تليق بمَنْ يتقدم لتحسين حال الوطن ، الذى أكثر ما عانى ، من تأثير الفكر الإخوانجى ، على الشباب ، وعلى تشكيل البؤر والأوكار الدينية المتطرفة المتعصبة ، التى تردد « دون وعى » كما يرددون « الإسلام هو الحل » . وصلت « الهرولة » المهينة ، إلى أن أحد المرشحين للرئاسة من أحزاب المعارضة ، قد أعطى الإخوان « كلمته » .. إنه إذا جاء للرئاسة ، سوف يطبق فى اليوم التالى مباشرة « الشريعة الإسلامية » بحذافيرها وذكر قطع يد السارق .. ومَنْ قتل يُقتل ، على سبيل المثال . وما خفى كان أعظم ، من إعطائهم مناصب حكومية حساسة .

من ناحية أخرى ، ومن متابعتى للأنشطة الإخوانية ، وتصريحاتهم التى تدل على تغير فى العمل من أجل الحكم ، ومعها أيضاً تتغير التيارات الإسلامية المتناثرة فى العالم ، والجماعات الإسلامية فى أمريكا والغرب ، وحتى أستراليا ، التى هى من إفراز الفكر الإخوانجى الذى تم تدويله ، أو عولمته .. فى كل بلد ، حسب طبيعته وردود أفعاله .

- أقول من ملاحظاتى للتحركات الإخوانية ، « العصرية » ، أنهم يركزون الآن على « الفن » من مسرحيات ، وأغنيات ، وأفلام . لقد أدركوا أن الطرق الجهادية التقليدية ، لم تعد تجدى كثيرًا وتفقدهم الناس ، بدلاً من أن يكسبوهم ، وأن الطرق القديمة فى الجهاد ، أصبحت مكشوفة ، من تكرارها ، ومباشرة فتاويها ، وبدء وجود « يقظة » بين الناس - حتى ولو كانت بطيئة وغير مكتملة الأبعاد - بحقيقة أغراض هذه الجماعة ، وارتباطها بأشكال ودرجات متفاوتة ، بخلق مناخ العنف والتعصب الدينى ، والتطرف الإسلامى ، وعولمة الإرهاب الذى يقتل فى كل مكان باسم الدين وباسم الإسلام .

وبالتالى ، فقد أخذت بؤرهم وأوكارهم ، وفروعهم فى مختلف أنحاء العالم ، إلى استخدام « الفن » كوسيلة بديلة « عصرية » .. « مطاطة » ، لنشر الجهاد الإخوانجى .

وسوف أشِر فقط هنا ، إلى مثلين .. فى زيورخ (سويسرا) ، يوجد مركز ثقافى اسمه المركز الثقافى العربى السويسرى . لاحظوا أن اسم المركز ليس فيه كلمة « إسلامى » وذلك غالباً ليحصل على موافقة لإنشائه والقيام بأنشطته « الإسلامية » ، تحت اسم « الثقافة » .. لقد مول هذا

المركز ، مسرحية تعرض فى مسرح القاعة الزرقاء فى زيورخ ، وهى مسرحية « إسلامية » هدفها غرس الثقافة الإسلامية .. وهى الثقافة التى تعكس فكر وأهداف ومصالح الخمسة مؤلفين للمسرحية ، وهم : كاتبة سعودية ، وكاتبة سويسرية اعتنقت الإسلام ، وكاتب فلسطينى متأسلم ، وكاتبتين من إيران . تصوروا .. (سويسرا) ، التى طوال تاريخها كانت رمزًا للحياد والاستقرار ، والتجانس الاجتماعى . الآن يُعرض فى أكبر مدنها زيورخ « مسرحية إسلامية » .

المثل الثانى ، يقدمه لنا محامى الجماعات الإسلامية ، مختار نوح ، الذى يصدر قريباً ألبومه الغنائى الأول ، واسمه « زار الدكتور مؤتمن » من شعر أحمد مطر ولحن مزدوج بينه وبين ابنه « بامن نوح » ، ويستعين بفرقة من المحمودية ، جدير بالذكر أن المحمودية هى مسقط رأس حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين .. ولا يتحرج محامى الجماعات الإسلامية ، فى اعترافه ، أنهم أخطأوا فى تحريم الفن والغناء والموسيقى .. كلنا بالطبع يذكر ، كيف أن تحريمهم للفن ، قد أشعل النيران فى حفلات الجامعات ، أو بعض الحفلات الخارجية ، ونتج عنها الضرب ، وتكسير الأدوات الموسيقية ، والعنف ، خاصة مع الفتيات .

الآن ، (وهذا يثبت انتهازية فكرهم ، وتغير جلدهم حسب الطقس ، وبالطبع حسب الفلوس) يقولون : أنهم فى الفترة القادمة ، سوف « يستخدمون » الفن بجميع أشكاله ، لتكملة الجهاد وخلق الدولة الدينية ، ولكن على أنغام الموسيقى ، أو على حد قول محامى الجماعات الإسلامية : « إن الغناء إحدى الأدوات التى سوف نستثمرها للترويج لأفكارنا الدينية » .

ورغم هذا التصريح ، والتبدل العصرى ، لا حباً فى الفن ، ولكن لتجنيده لغرس الفكر الإخوانجى الدينى ، (وهذا أخطر من الأساليب القديمة) ، مازال أغلب مرشحو أحزاب المعارضة ، « يهرولون » للفوز بالبركة الإخوانجية المسمومة .. نحن ندق ناقوس الخطر ! ولا نتمنى شيئاً ، إلا أن يسمع الناس ، والمسئولين ، دقات ناقوس هذا الخطر ! .

●■■■●

١٤ - البث الإسلامى الهولندى

■ نعلم جميعاً ، كيف كان تاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، بداية مواتية ، لتكثيف الإعلام الأمريكى والأوروبى ضد الإسلام والمسلمين . وقد وصل هذا الإعلام المضاد إلى صورة تكاد تكون يقينية ، أن كل ما هو إسلامى بالضرورة مرادف لكل ما هو متعصب أو متطرف وعنصرى ومتخلف وإرهابى .

وترسخت هذه الصورة الإعلامية أكثر بعد سلسلة التهديدات والأحداث الإرهابية التى وقعت منذ ١١ سبتمبر وحتى الآن و « مازالت » فى أماكن عديدة من العالم وخططت لها جماعات وتيارات إسلامية تاركة وراءها الخراب والتدمير وجثث القتلى والمناخ المشبع بالفزع وعدم الأمان والعداء والكراهية لكل مَنْ يتكلم اللغة الإسلامية .

وبعد كل حدث إرهابى تعلن جماعة إسلامية إنها المدبرة له يكون رد فعل المنتمين إلى الدين الإسلامى فى واقعنا العربى الإسلامى أو المهاجرين المسلمين فى أمريكا وأوروبا أن تلك الجماعات التى تخطف وتهدد وتذبح وتقتل فى كل مكان ، وتدعى أنها تدين بالإسلام ، ليست إلا جماعات ضالة الفكر والغاية ، إجرامية ودموية ، وهى « دخيلة » على الإسلام ، حيث إن الدين الإسلامى الصحيح هو دين التسامح والسلام والأمان لكل الناس والمساواة بين البشر والعدالة وطهارة اللسان واليد والنفس والجسد .

لكن المشكلة التى لا نفطن إليها أن الصورة السلبية التى يبثها الإعلام الأمريكى والإعلام الغربى لا تعرف ما هو « الصحيح » من الإسلام وما هو « الدخيل » ، فالناس مثلاً فى العالم الغربى لا يعرفون إلا ما يرونه بأعينهم ، فإذا كان ما يرونه هو التفجيرات والتهديدات والخطف والذبح والقتل وترويع الآمنين بفعل جماعات وتيارات تعرف نفسها بالإسلام ، وتحمل فى اليد اليمنى السكين ، وفى اليد اليسرى القرآن ، فكيف نتكلم معهم باسم « الصحيح » من الإسلام و « الدخيل » على الإسلام ؟! الأمر ليس بالكلام والتصريحات .

وأيضاً ، منذ تاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، وكرد فعل للصورة السلبية الإعلامية فى أمريكا والغرب عن الإسلام بدأنا نسمع عن مصطلح جديد اسمه : « تحسين صورة الإسلام » فى الخارج ، و « تحسين صورة المسلمين » فى الغرب ، و « تحسين صورة المجتمعات الإسلامية » فى العالم .. ومن كثرة استخدام هذا المصطلح ، أشعر أن « تصحيح صورة الإسلام والمسلمين » فى العالم ، قد أصبحت « الوظيفة » الرسمية ذات الأولوية الكبرى ، لدى جميع المؤسسات الإسلامية الرسمية والأهلية ، وسواء كانت تعمل داخل المجتمعات الإسلامية نفسها أو فى خارجها .

أحدث تطبيق عملى لهذا المصطلح كان يوم ٥ سبتمبر ٢٠٠٥ ، حيث انطلق أول بث إذاعى وتليفزيونى جديد مخصص لمسلمى هولندا تحت اسم « البث الإسلامى الهولندى » أول « نييو » ومهمته تحسين صورة

الإسلام والمسلمين عند وسائل الإعلام الغربية ، بعد تفجيرات ١١ سبتمبر على الولايات المتحدة .. « السمن الهولندى » و « الجبن الهولندى » أصبح هناك أيضاً « البث الإسلامى الهولندى » .

وحسب تصريحات « بيتر فرشخور » المدير الداخلى للبث لموقع « إسلام أون لاين نت » أن البث الإسلامى الهولندى الذى تم تسجيله فى ٢٣ يونيو ٢٠٠٥ يضم محطة إذاعية تسمى إذاعة المسلمين فى هولندا ، إلى جانب الموقع على شبكة الإنترنت .

والهدف هو تصوير المسلمين العاديين للشعب الهولندى وليس المسلمين الإرهابيين الذين تصورهم وسائل الإعلام الغربية .

وأعود مرة أخرى للمشكلة التى ذكرتها مسبقاً كيف بناء على مصطلح « تحسين صورة الإسلام والمسلمين » عن طريق قنوات إذاعية وتليفزيونية تتكلم عن الإسلام الصحيح ، وتلقى المحاضرات عن رفض الإسلام للإرهاب وأن تعطى الفرق بين « المسلم العادى الصحيح » و « المسلم الإرهابى غير الصحيح » !؟.

ألم أقل لكم إن « تصحيح صورة الإسلام » أو « تصحيح صورة المسلمين » قد أصبحت « وظيفة » !؟

ورأيى الشخصى أنها « وظيفة » شكلية لا تدل إلا على الفكر « التقليدى » ، « المتجمد » ، « الكلامى » ، « السطحى » ، الذى يقابل به المسلمون مشاكلهم فى جميع نواحى الحياة .

إن مصطلح « تصحيح صورة الإسلام » أو « تصحيح صورة المسلمين » استسهال للأمور ، واختزال لقضايا كبيرة معقدة متداخلة ، وترسيخ لمقولة أن المسلمين ظاهرة صوتية فقط ، ومحاولة متكررة لإخفاء عيوب المسلمين ، وإعفائهم بكل الدرجات والأشكال عن الواقع المتخلف المتردى الذى يمسون فيه ويصبحون عليه .

نحن نقول إن الإرهاب الدينى ظاهرة عالمية ، فهناك التيارات الأصولية المسيحية ، والتيارات الأصولية اليهودية ، والتيارات الأصولية الهندوسية والبوذية التى تمارس الأعمال الإرهابية ، ويحكمها الفكر المتعصب المتطرف المتزمت العنصرى .

ولكن لماذا فقط مع التيارات الأصولية الإسلامية التى تمارس الإرهاب ظهرت نبرة « تصحيح صورة الإسلام » أو « تصحيح صورة المسلمين » ؟! هل سمعنا عن شىء اسمه « تصحيح صورة المسيحية » أو « تصحيح صورة المسيحيين » ؟! أو شىء اسمه « تصحيح صورة اليهودية » أو « تصحيح صورة اليهود » ؟! أليس هذا سؤالاً يحتاج إلى رد ؟!

لماذا فقط ينبرى المسلمون دفاعاً عن الإسلام وعن أنفسهم ، بحيث أصبح هذا الدفاع هو « وظيفتهم » و « شغلهم الشاغل » و « قضيتهم الأولى » . وكأن كل شىء فى الواقع الإسلامى المُعاش على خير ما ينبغى ، وكأن حال المسلمين فى أروع حالاته لا يحتاج لإصلاحات جذرية ، وكأن المسلمين بشر أقرب إلى الملائكة أو الكائنات التى لا تخطئ .. ولا تهمل ، ولا يعيبها شىء ؟!

أو كأن المسلمين هم الوحيدون في العالم الذين يغارون على « صورة » دينهم ، لماذا لا نرى جزءًا ضئيلاً من هذه الغيرة على « الصورة » موجهاً إلى « الأصل » الذى نعيشه كل يوم .. أى إلى الواقع الفعلى ، والذى جعل المسلمين فى ذيل التخلف الحضارى ، وفى قاع استنارة الفكر . وإعمال العقل ، وفى آخر قائمة الفصائل المرشحة للتقدم الإنسانى .

● ■ ■ ■ ●

١٥ - الشيوخ المودرن وصناعة التطرف الدينى

■ الشهرة ، والنجومية الآن ، لم تعد وقفاً على المطربين والمطربات ، الممثلين والممثلات ، نجوم ولاعبى كرة القدم ، والراقصات . بل زاحمهم فئة جديدة هم الشيوخ الشبان أو الشيوخ « المودرن » .

هم مودرن من حيث المظهر ، يرتدون البدلة العصرية ، بدون لحى ، فقط بعضهم لا مانع من أن يطلقها قليلاً . منهم من ينطبع ، وتفترش على جبهته « زبيبة الصلاة » ، ليؤكد لنا ورعه ، وصلاحه ، واستحقاقه لكلمة « شيخ » . هؤلاء الشيوخ المودرن يتخذون من الدين الرسلامى بضاعة ، يسوقونها بطريقتهم ، وبأسلوبهم الخاص ، فتارة ينفعلون ، ويتشنجون إلى درجة البكاء ، وتارة أخرى يسخرون ، ويبتسمون ، ولا مانع من إطلاق طرفة هنا ، ومزحة هناك .

أما أماكن تواجدهم فهى فى فنادق الخمس نجوم ، حيث مناسبات زواج أبناء وبنات رجال الأعمال ، فنجد أحد هؤلاء الشيوخ المودرن قد حضر ليبارك هذا الزواج على طريقته . نجدهم أيضاً فى بيوت الفنانين والفنانات ، المعتزلين منهم والمعتزلات ، حيث الجلسات الدينية الخاصة . وفى فترة سابقة كنا نجدهم فى النوادى الكبيرة ، حيث الصالات المكيفة . أو القنوات التليفزيونية ، الأرضية منها والفضائية ، فهم فيها ضيوف دائمين . لقد وجد هؤلاء الشيوخ المودرن ، الطريق أمامهم ممهداً ، فرياح الأسلمة تهب من كل اتجاه ، فإنبروا يتحدثون عن الإسلام ، وباسم الإسلام ، سواء يعرفون ، أو لا يعرفون ، يفهمون أو لا يفهمون . فكل من

قرأ منهم كتابين فى الدين والسنة ، نصب نفسه شيخاً ، وخرج علينا - بمظهره الجديد - يعظنا ، ويهدينا إلى الصراط المستقيم .

ويتصف خطابهم الدينى بالمبالغة الشديدة ، فهم يُحَملون المعانى القرآنية والنبوية أكثر من معناها ، ويخلعون هالة من التقديس على الصحابة ، فهم فى نظرهم قوم معصومون من الخطأ ، ومن يحاول أن يجتهد ، ويقول أن هؤلاء بشر ، قد يصيبوا ، وقد يخطأوا ، يكون فى نظرهم قد خرج عن صحيح الدين .

إنهم يؤكدون ، ويشددون على أن الإسلام هو الدين الوحيد على الأرض الذى يمتلك الصواب ، أما الأديان الأخرى فهى على ضلال . وهنا أتساءل ، هل يختار الإنسان دينه ؟ أم أنه يرثه عن أسرته التى ولد فيها ؟. إن من يولد فى أسرة يهودية يصبح يهودياً ، ومن يولد فى أسرة مسيحية يصبح مسيحياً ، وكذلك فى الإسلام . أما من يفكر ويتأمل ، ويقرأ الكتب الدينية المختلفة ، مقارناً بينها ، متفحصاً إياها ، ثم يختار ديناً معيناً ، فهذه حالات نادرة . أما الأعم الأغلب أن الإنسان يرث دينه ولا يختاره .

هذه حقيقة وإن أنكرها البعض . إن عدم فهم هؤلاء الشيوخ المودرن لهذه الحقيقة وهذا المنطق ، يؤدى إلى إثارة العداوة والتعصب والحقد إزاء الأديان الأخرى بدلاً من التسامح ، والتآخى ، والعيش فى سلام .

وإتساقاً مع كونهم شيوخاً مودرن ، فهم ليسوا فى عداء مع العلم ، ولكن أى نوع من العلم . إنه العلم الذى يصبح فيه المسلم طبيباً عالمياً ، وعالماً فى الذرة ... إلخ ، ألا يفتح ذلك الباب إلى القول بجراح مسيحى ، وعالم فضاء يهودى ... وهكذا . إنهم يفتحون الأبواب التى تثير الخلافات

والفتن ، والتفرقة بين البشر . وذلك بسبب سذاجة ، وتسطح خطابهم الدينى . إن العلم ليس له دين ، بل هو مشاع ، ومتاح لكل من يبحث ويجتهد بغض النظر عن ديانته .

إنهم ينصبون من أنفسهم أوصياء على الناس ، وخاصة المرأة ، فيرسمون لها الطريق من تحت عباءة الدين الإسلامى ، ويأتون بالفتاوى التى تحدد خطواتها فى كل شىء . فأحدهم يصدر فتوى باعتزال المرأة للفن ، ثم يتراجع مؤخرًا ، ويتحدث عن فن إسلامى يمكن للمرأة أن تشارك فيه .

إن منطق خطابهم الدينى ينم عن عجز وإستسهال ، حينما يبحثون عن حلول لمشكلات الحاضر بالرجوع إلى الماضى . إنهم لا يدركون أن كل عصر يفرز مشكلات مختلفة عما قبله ، وبالتالى فالحلول تختلف وتتغير من عصر إلى آخر .

إن الشيوخ « المودرن » يمثلون ظاهرة كلامية ، صوتية ، تشنجية ، ترتدى ثوب الدين وتركب موجته كى تتربح ، وتتكسب غى حساب البسطاء من الناس .

أيها الشيوخ « المودرن » هل نحن فى حاجة إلى محرضين جدد يشعلون نار الكراهية ، والتعصب ، ونبذ الآخر من خلال التطرف الدينى أكثر مما نحن فيه الآن . ألا يكفيكم تلك الصورة المشوهة للإنسان العربى المسلم التى سادت وانتشرت فى العالم كله ، حيث أن كلمة « مسلم » تعنى إرهابى فى بعض الدول الأوروبية وأمريكا .

إنكم تدَّعون إصلاح المجتمع والأمة ، وهذا لن يحدث من خلال

خطابكم القاصر ، الذى يدس السم فى العسل ، ويسعى إلى دغدغة المشاعر الدينية لدى الشباب والشابات . بل من خلال التحول إلى مجتمع منتج ، مبدع ، مبتكر ، متطور ، يؤمن بقيمة الإنسان وإرادته . إن الأمة الجديرة بالاحترام هى التى تنتج طعامها ، وتمتلك القدرة والعلم ، والقوة هذه هى بعض مقومات تقدم الأمم ورقيها . أما الهوس الدينى والتشنجات ، والصراخ ، والبكاء لا تفرز إلا التخلف والتعصب والتطرف ، ونفى الآخر .

●■■■●

١٦ - شروط وثوابت الإسلام « الخليجي » وأثره على الشعوب !

■ قرأت في مجلة « روزاليوسف » الموقرة عن « بُشرى » تم الإعلان عنها ، وهي أنه في شهر رمضان القادم ، غالباً ، سوف يبدأ بث قناة اسمها « الناس » بمذيعات مصريات وتمويل خليجي ، ويملكها رجال أعمال سعوديون ، وضعوا شرط ارتداء الحجاب للمذيعات للظهور على الشاشة .

وفي الحقيقة لم أندهش ، بل إنه الوقت المناسب ، فبعد سنوات طويلة من الشغل الجاد الدؤوب في جميع مجالات الحياة لفرض اللغة الدينية « لغة الإسلام ، المستورد من الثقافة الخليجية بكل تجلياته وتفسيراته للحياة ، آن الوقت لامتداد تلك التجليات والتفسيرات إلى « قناة » فضائية جديدة ، بالإضافة إلى تلك القنوات التي تبث اللغة الإسلامية الخليجية .

لكن هذه المرة بدأت بتجربة وضع الشروط ، ولم لا تضع شروطها ، وقد مهدت الأرض لتلك اللحظة منذ أكثر من ربع قرن ؟ وبالطبع ، لابد أن تكون هذه الشروط نابعة من ثوابت الإسلام الخليجي ، في النظرة إلى زي النساء وإلى طبيعة ، ودور ، ومكانة المرأة بصفة عامة في المنظومة الإسلامية الخليجية .

إن رجال الأعمال في الدول المتقدمة إنسانياً ، والراقية ثقافياً ، والواعية لتراثها الحضاري ، اليقظة لخطورة اللعب بالدين ، وبشاعة التجارة في إشاعة مناخ التفرقة بين الأديان ، يستثمرون رؤوس أموالهم

فى الأنشطة التى تحمى عقول ونفوس أوطانهم وشعوبهم ، فى مثل هذه الدول « الصاحية » لخلط الدين بالدولة ، يستثمر رجال الأعمال فلوسهم ليس فى بناء كنائس أو معابد ، أو إنشاء « إعلام دينى » يتبنى لغة دين معين ، والتى تتخلل العقول والنفوس لخلق مناخ دينى متعصب ، أو مذهب أو طائفة داخل الدين الواحد ، ولكنه يستثمر فلوسه الفائضة فى كل ما يخدم الترجمة « العملية » لفصل الدين عن الدولة ، والمشاركة فى تدعيم الوعى الثقافى المتفتح ، وترسيخ الحس الفنى ، من أمثلة ذلك الاستثمار فى بناء دور الأوبرا والمسارح والمراكز الموسيقية ومؤسسات اكتشاف المواهب الفنية فى العلوم والفنون المختلفة .

رجل الأعمال فى بلادنا يضع فلوسه لإنشاء قنوات فضائية متأسلمة تشترط تغطية الرأس للنساء ، رجل الأعمال فى بلاد أخرى يضع فلوسه لتشجيع الاكتشافات العلمية والطبية ضد الأمراض التى تعانى منها البشرية فى كل مكان على كوكب الأرض ، رجل الأعمال فى مجتمعاتنا ينسق مع رجال أعمال متأسلمين مثله ، يقيمون خارج مجتمعاتهم الأصلية فى أمريكا وأوروبا ، ويشاركون لتمويل « ألبومات » غنائية إسلامية لمطربين متأسلمين مثلهم ، يتاجرون بالدين وبالإسلام « الخليجى » أو « الإسلام ذى التفسيرات المتزمتة » ، « الشكلية » ، سمعنا عن « سامى يوسف » ، وعن فرق جماعية للسود المسلمين ، والآن آخر القائمة « مسعود كيرتس » وألبومه الإسلامى الأول وعنوانه « صفوان » ، وأنتجته شركة مكونة من مجموعة مسلمين معهم الجنسية الأمريكية والإنجليزية ، وتعلن الشركة عن فيديو كليب « البردة » ليظهر فى رمضان ، وتوجد فى الألبوم أغنية إسلامية « لا تنس أبدًا » التى هى « فتوى جهادية » أكثر

منها أغنية لغرس توجهات وثوابت الإسلام الخليجى ، فى بلاد الكفرة « الضالين » .

ونسى الإسلاميون المولون « أو بالأحرى تناسوا » أن هؤلاء « الكفرة » و « الضالين » هم أصحاب البلد ، وهم القوة الشرائية ، الملعوب عليها لإدخال الربح من هذا الفن الذى يهديهم بعد ضلال ، ويجعلهم يتنصلون من أوطانهم على أنغام الموسيقى الحلال . أما المغتربون من مجتمعات أخرى فيستثمرون مع مغتربين مثلهم فى أنشطة مثل المطاعم أو محلات الملابس ، التى لا تخدم الانتماء الموروث لأى دين ولا تكرس اللغة الدينية ولا تدعم التفرقة الدينية ، على العكس هم يقدمون خدمة الأكل أو بيع الملابس للجميع على حد سواء .

إن قناة « الناس » نبت طبيعى ، وإفراز جديد لأرجل الإخطبوط الدينى ، والمد الإسلامى المزيف .. إن قناة « الناس » ضد جوهر جميع الأديان والانتماء الإنسانى مقابل الانتماء الدينى الإسلامى الهادف للربح ، والتفرقة بين الناس مستغلة حاجة « الناس » لكسب الرزق ، والهدف النهائى هو تحويل مصر إلى وطن دينى يدار جميعه بالأزرار الدينية ، ويتحدث كل ناسه بالمرجعية الدينية من غير رأس مال لا تتجز شيئاً ، وبعد ذلك يقولون أي شيء ، فقد اندهش البعض أن قناة « الناس » التى تمولها شركة « البراهين السعودية » صرحت أنها ليست قناة دينية بالأساس ، ولكنها متنوعة ، فهى ستقدم برامج ترفيهية أيضاً إلى جانب البرامج الدينية « العصرية » ، هل بذلك تبرهن شركة « البراهين » الممولة أن البرامج الدينية هى « نكدية » ضد الترفيه ؟ إن اندهاش بعض الناس لا معنى له إلا إذا كانت المواد الإعلامية الترفيهية لا تستقيم مع قناة

تصرح أنها ليست قناة « دينية » وذلك على رغم اشتراطها تغطية رؤوس المذيعات المحتاجات إلى وظيفة مجزية جدًا . وليس له معنى أيضاً لأن الإخطبوط الدينى المتأسلم « يؤسلم » كل شىء لصالحه ، فهم سوف يقدمون البرامج الترفيهية الإسلامية ، وحكايات الأطفال الإسلامية قبل الأكل وبعده ، وقبل النوم وبعده ، والإعلانات الإسلامية عن أماكن ومواعيد الفتاوى والجلسات الدينية للممثلات والممثلين المعتزلين ، والتى امتدت حتى السواحل الشمالية .

إن شركة « البراهين » التى تمول قناة « الناس » وغيرها مما تمول اللغة الدينية وتخاطب الوطن الدينى لا « تبرهن » إلا على شىء واحد فقط ، أنه سيمر وقت طويل حتى نحقق مبدأ اسمه « الدين لله والوطن للجميع » ، ووقت أطول لتحقيق فصل الدين عن الدولة .. ووقت أطول لاستئصال ذلك الإخطبوط السام .. الخبيث .. من عقول وأجساد الناس .

●■■■●

١٧ - تنظيم القاعدة .. شكرًا .. نجحتم فى تشويه الإسلام !!

■ شكرًا لتنظيم القاعدة على أداء مهمته الإرهابية ، التى قام بها بجدارة - يُحسد عليها - للإضرار بالإسلام وبمصالح المسلمين .. شكرًا للجماعات الجهادية الإسلامية على الرعب والخوف الذى زرعتهما فى قلوب الضحايا الذين لا حول لهم ولا قوة وهم معصوبو الأعين ، مرتجفو الأطراف ، تتهدل أصواتهم بالبكاء والنحيب على أعمارهم التى أصبحت قاب قوسين أو أدنى من حافة الموت ونهاية المصير .. رعب وخوف يبثهما أُناس ملثمون ، غلاظ القلوب ، غلاظ العقول وهم يصوبون إلى الضحايا رشاشاتهم الآلية لانتزاع اعترافاتهم غير عابئين بتضرعاتهم ، وتذللهم وهم مسلوبو الإرادة ، وفى الخلفية السوداء من ورائهم الآيات القرآنية التى يبررون بها أفعالهم الإجرامية .

شكرًا أبو مصعب الزرقاوى - إن كنت حياً أو من ينوب عنك إن كنت ميتاً - على مذابح القتل اليومية فى أرض الرافدين ، والتى تحصد الأرواح من كل الجنسيات ، والأديان دون تفرقة أو تمييز ، ولا تفرق بين المدنيين والعسكريين ، بين الأطفال والنساء والشيوخ . شكرًا على الوسائل البشعة من ذبح ، وفصل للرؤوس عن الأجساد وإلقاء الجثث فى مياه الأنهار ، وفى عرض الصحراء لتتحلل وتتعفن وتتصاعد منها الرائحة إلى السماء .

هنيئاً .. على التوسع والانتشار لفروع القاعدة متعددة التسميات والتى تتدرج كلها تحت عباءة الإسلام حيث مهمتها السامية هى القتل وسفك الدماء ! .

شكرًا على الفرصة الذهبية التى قدمها بن لادن للولايات المتحدة الأمريكية ، فقد عَبّد الأرض ، ومهد لها الطريق لتشن حرباً على أفغانستان ، وتستولى من بعد ذلك على العراق ، والبقية تأتى .

شكرًا على التنظيمات الجهادية فى أوروبا ، التى استهدفت الكفار والصليبيين بهجماتها الإرهابية على قطارات مدريد ، وأخيرًا على المترو ووسائل المواصلات بلندن .

هنيئاً هلى ترويع المدنيين الآمنين والتى تناثرت أجسامهم - دون ذنب - إلى أشلاء ، ومازالت دماء الضحايا حارة لم تجف حتى هذه اللحظات .

شكرًا على أعداد الجرحى الذين فقدوا أعضائهم والتى ستذكرهم دائماً ، هم ومَن يعيشون معهم بهول ما حدث لهم على أيدى زبانية القاعدة .

شكرًا على زرع بذور التعصب التى كان ضحيتها رجلاً أراد أن يعبر عن رأيه من خلال عملاً إبداعياً فراح المخرج السينمائى ثيا فان جوخ صريعاً لرأيه على أيدى أحد المتأسلمين المتعصبين الإرهابيين الذين لا يعرفون لغة الحوار بل لغة العنف والقتل ، ليشعل نار الفتنة والحقد والضغينة بين المسلمين وغيرهم من الأديان الأخرى فى هولندا .

شكرًا للإخوانى أيمن الظواهرى ، المنظر الأول لفكر القاعدة الإرهابى ، والذى حمله معه إلى أفغانستان ، وراح يصدره سفكاً وقتلاً .

إن أساليب التفسير الإسلامى التى تتصف بالجمود الفكرى ، قد ساهمت بشكل كبير فى تنامى مثل هذه التيارات الإسلامية المتطرفة ، ومنها فكر القاعدة التى راح ضحيته السفير المصرى وغيره .

إن طوق النجاة ليس فى غربلة التراث الإسلامى ، لانتقاء ما يتناسب وما يتلاءم مع متغيرات هذا العصر ومفرداته . فهذا المدخل يُعد مدخلاً شائكاً وخطيرًا ؛ حيث ستتعدد التفسيرات والتأويلات فى القضية الواحدة ، فيكون الاختلاف هو السمة الغالبة والاتفاق هو الاستثناء . ومن ثم فإن الخروج من هذا المأزق لن يكون إلا بفصل الدين عن الدولة ، بحيث يصبح الدين مسألة شخصية ، ومجرد علاقة بين الإنسان وربه .

إن أكثر من ثلاثين مليوناً من المسلمين الذين يعيشون فى أوروبا وأمريكا هم الذين سيدفعون الثمن غالياً ، فسوف يتعرضون لأشد الإيذاء الجسدى والمعنوى ، كالتهديد والتشريد والاعتقال . لقد بدأت هذه التهديدات عقب هجمات لندن حيث تلقى مجلس مسلمى بريطانيا أكثر من ثلاثين ألف رسالة عبر موقعه على شبكة الانترنت ، تحمل تهديدات بالقتل ، وشن هجمات على المسلمين ، وفى إيطاليا تم اعتقال ١٤٢ شخصاً ينتمون إلى خلايا إرهابية خطرة . وفى صباح الأحد ٢٠٠٥/٧/١٧ تعرضت أربعة مساجد فى أوكلاند بنيوزلندا لعمليات تخريب وتدمير وهو ما أسفر عن أضرار مادية كبيرة .

إن معظم دول أوروبا تتحسب لضربات القاعدة القادمة ، من منهم سوف يتلقاها ؟ وما حجم الخسائر التى ستخلفه ؟ .

لقد ساهمت أوروبا وأمريكا بشكل أو بآخر فى نشأة هذه الأحداث الإرهابية ، ففيهما تنتشر المراكز الإسلامية ، والتى على رأس أولوياتها نشر الدعوة الإسلامية ، وعدد لا بأس به من المسئولين عن هذه المراكز ، كانوا أعضاء فى الجماعات المحظورة من الإخوان المسلمين .

لقد ساهم تنظيم القاعدة فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وأصبح يُنظر إلى أى مسلم على أنه إرهابى قد يفجر نفسه فى أى وقت .

هنيئاً لبن لادن .. هنيئاً لأيمن الظواهرى .. هنيئاً للجماعات الجهادية الإسلامية المتطرفة .. هنيئاً للإخوان المسلمين ، لقد نضجت أفكاركم الإرهابية وأثمرت ونجحتم نجاحاً منقطع النظير فى إشعال نار الكراهية وتأجيج الحرائق التى لن تزول آثارها بسهولة ، بل ستظل غائرة فى القلوب ، شاخصة فى العقول لعقود وقرون قادمة .

●■■■●

عن المرأة
والثقافة الذكورية

١٨ - لهذه الأسباب يكرهون ويقهرون النساء

■ إن العلاقة بين الرجل والمرأة « إشكالية » معقدة ومركبة تحتاج إلى التحليل والتفسير ، الأمر الذى يدعو إلى الغوص فى أعماق الرجل لإكتشاف الأسباب والخلفيات السيكولوچية الكامنة فى اللاشعور ، والتى ترسخت عبر السنوات ، بفعل الموروث على اختلاف تنوعاته ، من عادات وتقاليد ذكورية ، وأفكار مستمدة من الدين ، سواء كانت صحيحة أو مغلوطة .

إن العلاقة التى تربط الرجل بالمرأة هى علاقة (الحب - الكراهية). فالرجل يحب المرأة ، ولا يستطيع الاستغناء عنها ، وإن غابت أو توارت فى حياته ، فإن ذلك يؤثر بشكل كبير على حالته النفسية . فهو يحبها لأنها تمنحه الراحة والحنان والطمأنينة ، وأيضاً المتعة الجنسية . والجنس فى المجتمعات الذكورية يرتبط بالرجولة ، وهذه المجتمعات تنظر إلى الجنس على أنه نوعاً من الدنس والخطيئة ، فالرجل حينما يمارس الجنس مع المرأة ، ينتابه هذا الشعور المتناقض (الحب - الكراهية) ، فهو يرى من جانب أن المرأة هى الطرف اللازم للعملية الجنسية التى تمتعه وتأجج شهواته ، ومهما أراد الابتعاد عنها ، يجد نفسه - رغماً عن أنفه - منجذباً إليها . والتناقض الشعورى هنا سببه أن المرأة التى تسعد الرجل وتمتعه جنسياً ، هى نفسها التى يرى أن جسدها عورة ومدنس ، وأنها سبب الخطيئة والإثم والرزيلة والشرور على الأرض . ويسيطر أيضاً على الرجل فى علاقته بالمرأة شعورًا متناقضاً وهو (الاحترام - الاحتقار) فالمرأة أم

الرجل ، وكثير من الرجال قد تأثروا فى طفولتهم بأمهاتهم . إن العديد من الدراسات النفسية ، تؤيد أن الرجل حينما يختار زوجة له ، فإنه لاشعورياً يبحث عن المرأة التى تشبه أمه . والأم لها مكانة عالية فى مجتمعاتنا ، فهناك الاحتفال بعيد الأم ، والأم المثالية ، ويقول الشاعر : « الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق » . وفى الإسلام ترتفع مكانة الأم إلى أعلى درجة ، فالجنة تحت أقدام الأمهات . وليس ذلك فحسب ، بل إن اللغة العربية تحتوى على مفردات ، ترتبط بالأم التى تمثل الأصل والمنبع والأساس ، كأن نقول « الوطن الأم » ، « اللغة الأم » ، « أمهات الكتب » ... وغيرها . كل ذلك يؤكد عمق وكثافة العلاقة الوجدانية التى يكنها الرجل للمرأة كأم . ومن هنا يأتى شعور الإحترام ، أما شعور الاحتقار ، فسببه أن الرجل ينظر للمرأة على أنها جسد وحسب ، جسد يفرغ فيه رغباته ، وتوتراته الجنسية ، ثم بعد ذلك يلعنها بأحط الصفات .

وقد يسيطر على الرجل شعورًا بالغيرة من المرأة ، حيث أنها تتميز عليه بالقدرة على الإنجاب ، فهى واهبة الحياة ، وحاملة لآليات وإمكانيات البقاء ، أما الرجل فدوره يختزل فى كونه آداة للتخصيب وحسب . إن الرجل حريص على أن يمتد نسله ويتسلسل - خاصة من الذكور - كميكانيزم نفسى لمواجهة الموت ، ورغبة منه فى الخلود . والمرأة هى الوحيدة التى تستطيع أن تحقق له هذه الرغبة ، وهذا الهدف . ومن هنا تكون غيرة الرجل ، لأن المرأة لديها امكانيات لا تتوفر له . وبدونها لا يستطيع أن يحقق أهدافه .

وقد تعود كراهية الرجل للمرأة وغيرته منها ، إلى ارتباط الأطفال بالأم أكثر من ارتباطها بالأب . فهى تبثهم الحب والرعاية والعطاء بلا مقابل ، ويبدأ هذا الارتباط فى مرحلة مبكرة منذ أن يكون الطفل جنيناً فى بطن الأم ، ثم يتنامى هذا الارتباط ويقوى متجسدًا فى الحب المتبادل، الذى يتجلى فى التفانى فى إسعاد وتلبية الاحتياجات الوجدانية والعاطفية لكل منهما . أما هذه العلاقة فهى أضعف بين الرجل وأطفاله ، والرجل يدرك ذلك . أما وظيفة الرجل فى الأسرة فتختزل فى كونه كيس نقود . ويدرك الرجل أيضاً أنه فى حالات موت الأم ، فإن الأسرة تتفكك عراها ، وقد يلجأ الأب إلى الزواج ، فتتحول حياة الأسرة إلى جحيم .

أما فى حالة موت الأب ، فقد تهتز حالة الأسرة الاقتصادية ، ولكن الأم تتحوط أطفالها وتحمى الأسرة من التصدع والضياع . وهنا يصدق المثل الشعبى « الأم تعشش والأب يطفش » .

إن إشكالية العلاقة بين الرجل والمرأة ، وحالة سوء الفهم هذه ، قد تبدت فى أعمال وآراء كثير من الفلاسفة والمفكرين والشعراء . فالمرأة فى تصورهم لغز كبير ، يصعب على الفهم ، وهى كائن غامض ، وناقص ، ويتصف بالدونية . أما الموروث الدينى (سواء كان ذلك صحيحاً أو خاطئاً) ، فقد استدمجه العامة ، وهو يكرس لأفكار هى ضد المرأة ، ويعلى من قيمة الرجل « إن كيدهن عظيم » و « الرجل رأس المرأة » ، وهناك أماكن مقدسة يحظر على النساء دخولها . وأدوار يجب على المرأة ألا تقوم بها .

إن علاقة الرجل بالمرأة ، علاقة غير سوية ، يغلب عليها المشاعر المتناقضة ، فى مجتمعات أبوية تكرس لعدم المساواة فى حالات كثيرة . إن هذه المشاعر النفسية المركبة ، تتفاعل وتعتمل فى عقل ووجدان الرجل ، فتشوه وجدانه ، وتفسد عقله ، وتصبح المرأة الضحية الأولى لهذه الأفكار المضطربة والمشوشة .

● ■ ■ ■ ●

١٩ - نساء تستعذبن الصفوف الخلفية

■ برغم معرفتى بالطريقة التى يفكر بها النساء والرجال فى مجتمعنا ، حينما يناقشون أو يتناولون أمرًا يتعلق بالمرأة ، إلا أننى قد شعرت بالاستفزاز عندما قرأت - فى عدد من أعداد روزاليوسف ، استجابات عدد من الداعيات المصريات على إمامة المرأة للرجال والنساء فى الصلاة .

أبدت الداعيات الأربع رفضهن لإمامة المرأة للرجال والنساء فى الصلاة ، حيث يشترط فى الإمامة الذكورة ، كما أن بدن المرأة « عورة » أمام الرجال ، وخاصة فى وضع السجود والركوع ، مما يؤدى إلى عدم خشوع الرجال وانشغالهم بالنظر إليها ، كما أن المرأة لم تقف بجوار الرجل فى الصلاة فى الكعبة ، وإنما كانت تقف فى الصفوف الأخيرة بعد صفوف الرجال والأولاد . وإذا رأت المرأة شيئاً أثناء صلاتها فعليها أن تصفق ، ولا تصيح مثل الرجل . وهذا يدل على أن « صوت المرأة عورة » .

وتذكر داعية أخرى تدعيماً لهذا الرأى ، أن الرسول ﷺ قد ذم الرجال الذين يقفون فى آخر الصفوف ، والحكمة فى ذلك أن الصفوف المتأخرة قريبة من النساء لأن جسد المرأة عورة ، بالإضافة إلى أن القوامة للرجال فى الإسلام ، ولهم القيادة وزمام الأمور .

إن هذا الطرح له خطورته ، لأنه مبنى على التفسير الحرفى للدين ، والانحياز إلى بعض التفسيرات التى يصفونها بأنها من « الثوابت » ، وهى ليست كذلك ، بدليل أن هناك من يفسرها تفسيرًا آخر مغايرًا لصالح

المرأة وليس ضدها ، ولصالح بديهيات العقل الذى يؤمن بالعدالة وليس مهووساً بالجنس . مصدر الخطورة يرجع أيضاً إلى أن هؤلاء الداعيات يتقلدن مناصب قيادية ، تؤثر فى عقول الشباب ، بحكم عمل ثلاثة منهن بالتدريس فى الجامعة . ناهيك عن ظهورهن الدائم فى وسائل الإعلام ، والقنوات الفضائية والأرضية .

دعونا نناقش قناعات الداعيات على أرضية عقلانية ، دون تشنج أو تعصب . ففيما يخص أن الإمامة تشترط الذكورة فهذا يعنى بادئ ذى بدء ، أن فى الإسلام أمور تخص الرجال ، ولا يقوم بها النساء ، وهذا ضد مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة فى الإسلام . ومن ثم فهؤلاء الداعيات هن اللائى يصورن الإسلام بطريقة تعكس الجمود الفكرى ، والوقوف عند تفسيرات تكرس للتمييز بين المرأة والرجل .

هذا بالإضافة إلى أنه ليس هناك علاقة بين الذكورة من ناحية ، والإمامة والقيادة من ناحية أخرى . فهل من المنطق أن يؤم ذكر من الرجال ، جاهل بأمور الدين ، نساءً وصلن إلى مستوى متقدم من التعليم كأستاذات فى الجامعة وباحثات وطبيبات ، ويعلمن من أمور دينهم ودنياهم الكثير ، ومع ذلك يفضل أن يؤمهن مثل هذا الرجل حيث تتوافر فيه شرط الذكورة !

لقد تبنت هؤلاء الداعيات نظرة الفقهاء من الرجال ، فيما يخص المرأة . فالمرأة تم اختزالها فى كونها جسداً يثير الغرائز والشهوات . والرجال ضعفاء أمام هذا الجسد ، وينتابهم شكل من أشكال الهوس

الجنسى حينما تقع أعينهم على المرأة فى كل الأوقات ، حتى لو كان هذا الوقت أثناء العبادة والصلاة .

تأمل معى ما تستشهد به إحدى هؤلاء الداعيات : جاء رجل إلى الرسول ﷺ ، يخبره بأنه واقع امرأة فى نهار رمضان ، لأنه رآها وهى تصلى فرغبها . وتؤكد بذلك على أن إمامة المرأة لا تجوز .

إن الرغبة الجنسية تنشأ فى المخ ، والإنسان الطبيعى يستطيع أن يتحكم فى رغباته وغرائزه . أما الرجال المهوسون جنسياً ، فهم لا ينتظرون أن تكون المرأة ساجدة أو راكعة ، بل سيلاحقونها فى الشارع والعمل والمواصلات العامة ، فهل معنى ذلك أن نحجب النساء ونمنعهن من ممارسة حياتهن العامة ؟ .

لقد التحقت المرأة (فى مجتمعات أخرى غير مجتمعاتنا) بالجيوش ، وارتادت الفضاء ، وقادت الطائرات ، ولم نسمع أنها قد أثارت شهوة زملائها من الرجال . أيضاً فإن هناك الكثير من الرياضات والتى تقوم فيها المرأة بحركات جسمانية تتطلبها هذه الرياضات كالجمباز والسباحة والقفز بأنواعه المختلفة ، وهى تلقى قبولاً من غالبية الناس ، ولم نسمع أنها تثير غرائز الرجال وتلهب شهواتهم . وحتى إذا حدث هذا فهو عيب الرجال لا عيب النساء .

إن هؤلاء الداعيات يكرسن للتفرقة بين المرأة والرجل ، استنادًا على أن كل منهما له طبيعته الخاصة . ثم نراهن يتناقضن بقولهن إن الإسلام قد ساوى بين المرأة والرجل فى كل الأمور . إن المساواة كما أراها وكما تقرها مواثيق حقوق الإنسان تعنى أن ما هو للرجل ، هو أيضاً للمرأة دون

تفرقة أو تمييز فى كل جوانب الحياة ، وهذا بالتحديد ما جعل إمامة المرأة للصلاة تمتد فى ولايات أخرى بأمريكا غير ولاية فرچينيا ، بمبادرات من نساء مسلمات متفتحات ، ومع العدالة بين الجنسين .

إن التفرقة تحت أى مبررات ، والتى يكرسها هؤلاء الداعيات ، من شأنها أن تحول النساء وهن نصف المجتمع إلى عورات وناقصات ، ومشروع اغتصاب .

إن صورة الإنسان أمام نفسه تلعب دورًا هاماً فى حياته . فالمرأة التى تنظر إلى صورتها نظرة الفريسة ، يخلق ذلك منها شخصية مهزوزة ، مهترئة ، خائفة ، خاضعة ، خاملة ، وغير فاعلة . أما إذا كانت نظرة المرأة لنفسها نظرة إنسانية ، فإن ذلك يمنحها الثقة بالنفس ، والجرأة ، والقدرة على الاقتحام والفعل والابتكار . فهل لنا أن نتصور مجتمعاً تنظر نساؤه إلى أنفسهن هذه النظرة الدونية التى تدور فى فلك الغريزة الجنسية ، ونأمل من هذا المجتمع خيرًا ؟ وكيف تقف المرأة ضد نفسها ، وتستعذب دائماً أن يدفع بها الرجال إلى الصفوف الخلفية حتى فى الصلاة ؟ .

●■■■●

٢٠ - ثقافة الحجاب .. والوعى الزائف للمرأة !

■ تتميز فترات التحول التاريخى التى تمر بها المجتمعات (مثل الفترة التى نعاصرها الآن) بتزايد الأزمات السياسية والاقتصادية ، وتصارع التيارات الثقافية متعددة الاتجاهات . بعض هذه التيارات يستمد أطروحاته من الماضى والتراث ، فى مقابل تيارات أخرى تتخذ من العقل الناقد ، المبدع ، أداة ومنهجاً ينقى الحاضر من تشوهاته ، ويدعم المستقبل بآليات التقدم والرقى الإنسانى .

فى ظل هذه الصراعات وتلك الأزمات يدفع المجتمع بأسره - رجاله ونسائه - الثمن ، ولكن المرأة ، ولأسباب تاريخية جعلتها الجنس الأضعف اجتماعياً وسياسياً تدفع الثمن مضاعفاً ، وكما هو معروف تاريخياً أن فى وقت الأزمات والصراعات ، يكون النساء والفقراء والمهمشون أول الضحايا .

وبالنسبة للمرأة فهى تتلقى الضربات تلو الضربات ، فتتحول إلى كبش الفداء لدى أصحاب الفكر المتزمت المتأسلم ، الذين يستخدمون التفسير الحرفى للنصوص الدينية ، الأمر الذى أدى إلى تغييب وعى المرأة المصرية ، وعدم إدراكها للأسباب والدوافع الحقيقية وراء ما تسلكه من تصرفات . وخير مثال على ذلك هو ارتداء المرأة المصرية للحجاب الذى انتشر انتشارًا واسعاً فى الآونة الأخيرة ، منذ منتصف السبعينيات للقرن الماضى وحتى الآن .

إن المرأة المصرية تتوهم أن إرتدائها للحجاب هو بمثابة « الاختيار

الحر » ، فنجد أن كثير من المحجبات يرددن أن إرتدائهم له هو عن قناعة شخصية ، ومن قبيل اختيار نابع من إرادتهن الحرة .

إن إرتداء المرأة للحجاب ليس اختيارًا شخصياً كما تزعم ، بل أرغمت على إرتدائه وهى فى حالة من التخدير الفكرى ، وفى حالة من غياب للوعى الحقيقى بالعوامل والأسباب الجوهرية التى تكمن وراء هذه الظاهرة .

إنه بنظرة فاحصة ومتأملة لفترة السبعينيات - من القرن الماضى - وحتى الآن ، سنجد أن هناك عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية قد ساهمت بقدر كبير فى ولادة هذه الظاهرة ثم انتشارها بهذا الشكل الذى نراه الآن .

وأهم هذه العوامل هو العامل السياسى ، لقد أراد السادات التخلص من خصومه - والتى يمثلها التيار الشيوعى والاشتراكى - فأطلق العنان للتيار الإسلامى كى يقوم بهذه المهمة . وأشاع مناخاً إسلامياً شكلياً ، فأطلق على نفسه الرئيس المؤمن ، وأفرد للإسلاميين مساحات عريضة فى الإعلام المرئى والمقروء ، وكان التليفزيون هو الوسيلة السحرية والفعالة لتشكيل العقل المصرى ، وصبغه بصبغة دينية شكلية ، ومن ثم قولبته وتزييف وعيه بحيث ينصرف عن الاهتمام بالقضايا الجوهرية إلى القضايا الشكلية . فكان التركيز على تحجب المرأة ، وكانت ظاهرة « الشيخ الشعراوى » ، وبدأت بعض الفنانات بإرتداء الحجاب واعتزال الفن ، وظهرت شركات توظيف الأموال . فى ظل هذا المناخ انتعشت التيارات الإسلامية الأصولية المتطرفة ، وخاصة فى الأحياء الفقيرة

والعشوائية ، وأصبح شغلها الشاغل الدعوة لإرتداء المرأة للحجاب بل تجاوزت ذلك إلى الدعوة لإرتداء الحجاب والنقاب .

إن هذه التيارات تتبنى شكلاً من أشكال الوصاية على المرأة ، فهى ترسم لها خطواتها ، وتتدخل فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتها من الميلاد وحتى الموت . إنها تنظر إلى المرأة كجسد يثير الفتنة ويلهب الغرائز . المرأة فى نظرهم كائن من الدرجة الثانية ، فهى ناقصة عقلاً وديناً ولا ترقى إلى مرتبة الرجل الذى يتميز برجاحة العقل وحسن التمييز .

إن هذه النظرة إلى المرأة تعبر عن التوجه الذكورى الذى أفرزه المجتمع الأبوى ، وهى بهذه الرؤية تحط من قدر المرأة وتختزلها فى صورة جسد .

إن قناعة المرأة بإرتداء الحجاب ، ما هو إلا موافقة ضمنية على أنها جسدًا يغطى ويعرى وقت اللزوم .

لقد بالغ التيار الإسلامى الأصولى فى وجوب إرتداء المرأة للحجاب لدرجة أن البعض قد إدعى أنه فريضة كالصلاة والصوم ، وبالتالى أصبح للإسلام ستة فرائض بدلاً من خمسة كما يعرف الجميع .

لقد روج هذا التيار لظاهرة الحجاب باستخدام تنويعات مختلفة من الثواب والعقاب ، فالمرأة المحجبة فى الجنة أما غير المحجبة فهى فى النار .

ولقد ساهمت التفسيرات المتطرفة المتزمتة فى تزايد ظاهرة الحجاب ، ومع تزايد واستفحال هذا الفكر لم يسلم السادات من أن تطاله نيران التطرف ، فكان قتله على أيدى التيار الذى أحياه وروج له .

إننا إذا تأملنا فترة ما قبل السبعينيات وأثناء حكم عبد الناصر سنجد أن ظاهرة الحجاب هذه لم تكن موجودة . فالإسلاميون آنذاك كانوا منزوعى الأظافر والأنياب ، ولم يكن لهم أى سطوة . وهذا يدلل على أن التوجهات السياسية لكل حاكم هى التى تتدخل فى كل شىء حتى فى شكل الملبس الذى ترتديه النساء . ولنا أن نتأمل زى النساء قبل وبعد تجربة الخمينى الإسلامية في إيران .

أما العامل الثاني فيتمثل فى العامل الاقتصادى ، ففى ظل الانفتاح الاستهلاكى انتشر الفقر بين الفئات العريضة فى المجتمع المصرى ، وتزايدت البطالة ، فكانت دعوة التيارات الإسلامية المتطرفة بعودة المرأة إلى المنزل وإفساح المجال للرجل كى يحل محلها فى سوق العمل ، وانتشرت الأفكار الإسلامية التى تدعو إلى نبذ الحياة الدنيا الزائلة فى مقابل التمسك بالحياة الأخرى ، ومع هذا المناخ الاقتصادى الضاغط ونتيجة للاحباط والعجز عن تغيير أو تحسين هذا الواقع احتمت المرأة بالحجاب كميكانيزم دفاع فى مواجهة الضغوط الاقتصادية من حولها .

إن الدليل الواضح على أن الضغوط الاقتصادية قد ساعدت على ارتداء المرأة المصرية للحجاب ، هو انتشاره بدرجة كبيرة فى الأحياء الشعبية الفقيرة ، على سبيل المثال فى الزاوية الحمراء وامبابة وغيرها ، وعدم انتشاره بنفس الصورة فى الأحياء التى تتمتع بمستوى اقتصادى مرتفع كالزمالك ومصر الجديدة .

والعامل الثالث يتمثل فى العامل الاجتماعى ، والذى يعبر عنه خير تعبير ما يمكن أن يطلق عليه سيكولوچية القطيع ، فمعظم المجتمع المصرى إنحاز إلى الحجاب ، فأصبحت القلة القليلة من النساء غير

المحجبات تبدو وكأنها شاذة ، ومع الضغوط الاجتماعية ، المباشرة وغير المباشرة ، التى تم ممارستها على المرأة غير المحجبة من خلال الأسرة والعمل ، ونظرة الرجال فى الشارع المصرى ، أجبرت هذه الفئة القليلة من النساء على ارتداء الحجاب ، مفضلة نعمة الانضمام إلى القطيع على حالة الحصار اليومى المتمثل فى الهجوم والانتقادات التى تواجهها المرأة فى كل مكان تذهب إليه .

إن المحصلة النهائية لهذه العوامل الثلاثة كان انحياز المرأة والمجتمع بأسره لإرتداء الحجاب ، بينما يقوم هذا التوجه وهذا الانحياز فى حقيقته على أرضية من الوعى الزائف جعلت المجتمع - عامة - والمرأة - خاصة - تظن أنها تختار بإرادتها الحرة . ولكن فى الحقيقة ليس هذا الاختيار إلا وهماً .

وأقول إن الحجاب بهذا الانتشار ، لم يعد مجرد « زى » ، وإنما « ثقافة » لها مفرداتها وأهدافها ، والأوتار الحساسة التى تلعب عليها .

بعض الناس ، يهاجمون الحجاب ، باعتباره زياً فقط .. لكننا فى الحقيقة ، لابد أن نواجهه بشكل أكثر عمقاً وجذرية ، باعتباره « ثقافة » و « منظومة » متكاملة ، متسقة .

●■■■●

٢١ - كونداليزا رايس .. أليست امرأة ؟!

■ رشيقة القوام ، قصيرة الشعر ، بعيدة النظر ، سمراء البشرة ، تنحدر من أسرة موسرة ، وفرت لها قدرًا من التعليم .. تفوقت .. عملت فى الجامعة وأصبحت رئيسة لها .. تتحدث بأكثر من لغة ، غير متزوجة ، تبلغ من العمر ما فوق الأربعين ، على دراية كبيرة بالمشكلات السياسية وخاصة المسألة الروسية . إنها كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية ، وبحكم منصبها فهى مسئولة عن السياسة الخارجية الأمريكية والترويج لها .

فهى تتعامل -على سبيل المثال- مع السياسة الروسية ومشكلة الشيشان ، والمسألة النووية فى كوريا الشمالية وإيران ، ومصير أمريكا فى أفغانستان ، والمشكلات العرقية للأكراد ، والخلافات بين الصين وتايوان ، وفى منطقتنا العربية تتابع مشكلة دارفور والتمرد فى السودان ، ومصالح أمريكا فى العراق ، والمساومات التى لا تنتهى بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية ، وتضييق الخناق على الحكم فى سوريا ، والحرية والطائفية فى لبنان . وتحمل راية الإصلاحات الديمقراطية ، وتطالب بمراقبة دولية للإشراف على الانتخابات الرئاسية ، وبمزيد من الإصلاحات الدستورية ، إنها تنذر وتهدد بالحروب ، وتعد وتبشر بالسلام ! .

كل ذلك تفعله امرأة ، امرأة تنتمى إلى جنس النساء ، لا تختلف عنهن من الناحية التشريحية والفسيولوجية .

كل ذلك تفعله امرأة ، إلا أننا من حين لآخر يطلع علينا أحد المتأسلمين ليقول لنا أن المرأة لا تصلح لتقلد المناصب القيادية لأنها بطبيعتها انفعالية وتأتيها الدورة الشهرية ، أليست كونداليزا رايس امرأة تحيض ككل النساء ، وما هذه الطبيعة الانفعالية التى يتحدثون عنها ؟ هل هى طبيعة النساء العربيات والمسلمات فقط ؟! أم هى طبيعة جنس النساء على هذا الكوكب.؟! ألم يسمع هؤلاء المتأسلمون عن نساء قدن دولاً ، وتولين مناصب قيادية تتصف بالخطورة والحساسية قديماً وحديثاً ؟! هل جاءهم خبر كليوباترا وبلقيس وشجرة الدر ، هل سمعوا عن مارجريت تاتشر ، ومادلين أولبرايت وبناظير بوتو ، وتانسو شيلر ؟!

لو كانت هذه حال النساء كما يرى شيوخنا الأذكياء ! لما جازفت أمريكا بإسناد هذا المنصب لامرأة ترسم السياسات الخارجية وتضع المخططات الدولية لأكبر دولة على الكرة الأرضية ؟! ولتجنبت أمريكا هذه الخطوة التى تجعلها تخسر الكثير .

فماذا تفعل أمريكا عندما تأخذ كونداليزا رايس بعض القرارات وهى فى فترة الحيض ؟! وهى فى حالة انفعالية ، حتماً ستؤدى هذه القرارات إلى الحرب بين الهند وباكستان ، وتشتعل نار الخلافات بين أوروبا والأمريكان ، وتدمر الصين جيرانها ، وتعم أفريقيا المجازر والفوضى والغليان ، ألم يكن من الحكمة أن يسند الرئيس بوش هذا المنصب لرجل حكيم .. عاقل بطبيعته ، لا يأتيه الحيض ! .

إن كونداليزا رايس تقطع العالم شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً وهى امرأة وغير متزوجة ، وتسافر إلى بلاد الله الواسعة بلا وصاية ، وبدون

محرم ، أما هنا وفى أغلب بلادنا العربية والإسلامية فلا سفر للمرأة إلا بموافقة الزوج أو ولى الأمر ، تجتمع كونداليزا رايس بالساسة من الرجال ، تجلس معهم منفردة فى الغرف المغلقة ، ولا أحد يردد أن انفرادها هو لشىء آخر غير المشاورات والمفاوضات ، وفض المنازعات أو التعاون من أجل القضاء على الفقر وإحلال الرخاء . لم يساور أحد ، وخاصة فى منطقتنا العربية أن انفرادها بأحد الساسة منم الرجال قد يكون مدخلاً للشيطان . فالمجتمعات الإسلامية تؤمن وتردد دائماً أن ما اجتمع رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما .

لو طلبت كونداليزا رايس من أحد الساسة الإسلاميون أن تجتمع به منفردة لما تردد حتى لو كان ينتمى إلى أكثر التيارات الإسلامية تطرفاً ، ولن يتبادر إلى مخيلته أو مخيلة أى مسلم أن الشيطان سيتسلل إليهما . فليفسر لنا الإسلاميون هذا الموقف ، ليس هناك غير احتمالات ثلاثة ، إما أن تكون رايس لا تنتمى إلى جنس النساء ، أو أن هذا الرجل لا ينتمى إلى جنس الذكور ، وإما أن الشيطان لا حول له ولا قوة لكى ينفذ إليهما ، أو أن ليس لهذا الشيطان وجود أصلاً ! .

لذا يجب أن نمحو تلك المقولة من عقولنا التى توارثناها جيلاً بعد جيل .

إن المتأسلمين هم السبب الحقيقى لتخلف المرأة وتأخرها ، فهم يقفون ضد حقها فى التصويت ودخول البرلمان ، وضد حقها البسيط فى قيادة السيارة ، وضد اختلاطها بالرجال بحجة التقاليد والعادات

والقيم الإسـلامية . فليتأمل الإسـلاميون كيف تتحرك كونداليزا رايس ، وكيف تتعـامل وتتصرف مع الرجال من حـولها ، ثم يراجعـون أفكارهم من جـديد كى لا يستـمـروا فى تكبـيل المرأة بالسـلاسل والقيـود التى صنعتـها تفسيـراتهم المتخلفـة للدين ، مدعين أنها مستمدة من شـريعة الإســـلام .

●■■■●

٢٢ - نوال السعداوى .. أول مرشحة لرئاسة الجمهورية والعقلية الدينية المتعصبة !

■ لقد أثار ترشيح د. نوال السعداوى ، لمنصب رئاسة الجمهورية الكثير من الجدل . هذا الجدل تأرجح بين الرفض والقبول . فهناك من يؤيد هذه الخطوة ، وهناك من يعارضها . وبين الرفض والقبول ، المعارضة والتأييد ، تجلت طريقة التفكير ، ونوعية العقلية الذكورية ذات المرجعية « الدينية » . عقلية « ذكورية » وإن دافعت عنها بعض النساء أيضاً .

« إننا لسنا إلا طريقة تفكيرنا » ، وهنا « مربط الفرس » ، فالتأخر والتخلف ، التقدم والتطور ، كل ذلك مرهون بالطريقة التى نفكر بها ، فى كل مايواجهنا من قضايا ومشكلات .

وأزعم أن التعامل مع مسألة ترشح د. نوال السعداوى لرئاسة الجمهورية قد تم بطريقة تغلب عليها الصبغة الدينية ، المتعصبة ، وتكشف عن عقلية ذكورية متزمتة ، جامدة ، لا تعيش متغيرات الحياة ، وليس لديها أى استعداد للمرونة الفكرية ، والتخلى عن موروثات آلاف السنين .

وكان هذا الجدل على مستويين ، الأول : منصب رئاسة الجمهورية ، ومدى صلاحية المرأة لتولى هذا المنصب من وجهة نظر إسلامية . والثانى : هو شخص نوال السعداوى ، عقيدتها ، ومدى كفاءتها للقيام بهذا المنصب .

بالنسبة للمستوى الأول ، ويمثله رجال الأزهر ، والمؤسسات الإسلامية ، وقد انقسموا فيما بينهم بين مؤيد ومعارض فشيخ الأزهر قد أفتى بجواز تولى المرأة لهذا المنصب ، ولكنه رفض توليها لمنصب شيخ الأزهر . أما المفتى الشيخ على جمعة فقد رفض توليها لهذا المنصب بسبب طبيعتها الفسيولوجية ، وما تعانيه طوال فترة الحيض . (كما ذكرت جريدة المصرى اليوم) .. إن كل من الرجلين له أسانيده ، وحججه الدينية التى يسوقها لكى يدلل على صحة وقوة فتواه . وبالرغم من أن كلاهما ينطلق من الإسلام ، وينتميان إلى مؤسسة واحدة ، يجتمعان تحت لوائها ، وهى الأزهر ، فكل منهما له رأى يخالف الآخر . وإذا كان الأمر كذلك ، فما بالنا لو أدلت التيارات الإسلامية الأخرى بدلوها فى هذه المسألة . وهذه التيارات تتنوع بين التصلب والمرونة ، بين الأصولية المتشددة والتيار الإسلامى المستنير . فأى إسلام منهم سنختار ؟ المؤيد أم المعارض ، إن الأمر سينتهى بنا إلى التضارب ، والارتباك ، والحيرة ، وعدم القدرة على حسم الأمور الدنيوية . أليس من الأجدى أن يريح رجال الدين أنفسهم ، ويريحونا ، ويتركوا هذه الأمور إلى وثيقة حقوق الإنسان ، التى لا تميز بين المرأة والرجل فى كل الأمور ، والتى من بينها تولى منصب رئاسة الجمهورية .

إن مسببات رفض المفتى لتولى المرأة لمنصب رئاسة الجمهورية هو طبيعة المرأة الفسيولوجية ، وما تعانيه طوال فترة الحيض . وهذا الرأى ليس رأيه وحده ، ولكنه يعبر عن رأى قطاعات عريضة من الإسلاميين ، رجالاً ونساءً .

وأقول للشيخ : ما رأيك فى تولى نساء عديدات لهذا المنصب فى دول إسلامية كأندونسيا وباكستان وبنجلاديش ، هل منعتهن طبيعتهن الفسيولوجية ، ومعاناتهن طوال فترة الحيض من قيادة هذه الدول . وما قولك فى النساء اللائى قدن بلادًا غير إسلامية كأنديرا غاندى فى الهند ، ومارجريت تاتشر في إنجلترا وغيرها من البلاد . هل طبيعتهن الفسيولوجية دفعتهن لاتخاذ قرارات طائشة جلبت على بلادهم الخراب ، والدمار ، والفقر ، والجهل ، والمرض كما حدث ويحدث الآن على أيدى الأنظمة الديكتاتورية فى العالم ، والوطن العربى ، حيث الحاكم « الرجل » الذى يتمتع بطبيعة فسيولوجية ذكورية تؤهله لهذا المنصب . هل الطبيعة الفسيولوجية لرجال طغاه مثل هتلر ، وشاوشيسكو ، وصدام حسين ... وغيرهم ، و - الذين لا يأتيهم الحيض - عملت على حماية العالم من الشرور والحروب والدمار ، أم أن المسألة ليست لها علاقة بالطبيعة الفسيولوجية على الإطلاق ، ولكنها تتعلق بعوامل أخرى ليس منها هذه التفرقة الجنسية الموروثة منذ آلاف السنوات ، والتى لا ترى المرأة إلا جسدًا يحيض ، ورحماً يلد ، وعقلاً ناقصاً ، وعورة لابد أن تغطى . إنها النظرة إلى المرأة التى هى بيت الداء للعرب والمسلمين جميعاً .

أما المستوى الثانى : ويستند على أن د. نوال تعارض أسس وثوابت الدين ، وهى غير مؤهلة لهذا المنصب . وهنا يتبين أن أسس الرفض تنطلق من منطلق الانتماء الدينى ، ولا تقوم على أساس من المنطق والعقل .

وهنا تكمن الخطورة ، حيث أن هذا التفكير يبيح لأصحابه الحق فى إدانة الآخر وتكفيره ، طالما أنهم نصبوا من أنفسهم أوصياء على الآخرين ، فهم يدّعون إمتلاك العقيدة الصحيحة ، ومن يخالفهم فى الرأى ، فهو خارج عن أسس وثوابت الدين . إن العقيدة ، وإنتماء الإنسان الدينى ، هو علاقة خاصة بين الإنسان وربه ، وليس لأحد الحق فى أن يحكم على الآخر ، ويتهمه بالخروج عن الدين . وإنطلاقاً من هذه النقطة فهم يربطون ربطاً تعسفياً بين انتماء أو عدم انتماء الإنسان لعقيدة ما ، وأهليته وكفاءته لتولى منصب كرئاسة الجمهورية .

إن رجال الأزهر يدسون أنوفهم فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتنا ، وينصبون من أنفسهم أوصياء على البشر باسم الدين . لقد دخلت الرقابة الدينية على الإبداع الفنى من كتب وروايات ، ودراما تليفزيونية وأفلام . إن أغلب رجال الأزهر لا يقرأون ، وإن قرأوا ، فكل معارفهم مستمدة من الماضى ، ولا علاقة لهم بما يحدث فى هذا العالم من تغير . لقد تجمدت عقولهم عند كثير من كتب التراث التى عفى عليها الزمن . إن الحبل الواصل بينهم وبين علوم الحاضر - من طب ، وفضاء ، وهندسة وراثية ، ونظم معلومات وغيرها - مقطوع ، بل ومبتور . لقد أصبح الأزهر معوق للحياة . فالعالم يتغير وأغلب رجاله لا يدركون هذه الحقيقة . لقد أصبحت المراة فى فرنسا وزيرة دفاع ، وارتادت المرأة الفضاء ، ولم يتحدث أحد عن « خلوة شرعية » بينها وبين أحد زملائها من الرواد . والتحقت المرأة بالجيوش ، وقادت الطائرات المقاتلة . كل هذا قد حدث ، وفضيلة

المفتى مازال يتحدث عن طبيعة المرأة الفسيولوجية ، وما تعانيه طوال فترة الحيض !! .

إن أخطر عيوب التفكير ، وآفاته ، والتى تسيطر على العقلية العربية عامة ، والمصرية خاصة ، هى عدم تحرى الدقة ، والتسرع فى إطلاق الأحكام ، والربط الخاطئ بين أمور هى بطبيعة الحال لا يجوز الربط بينها . وأعتقد أن هذا ينطبق على عدد لا بأس به ممن أبدوا رفضهم لترشيح د. نوال السعداوى . فمنهم من لم يقرأ لها كتاباً واحدًا ، ومنهم من قرأ ولم يفهم ما تعنيه ، وما تقصده ، وآخرون قد استقوا معرفتهم بأفكارها عن طريق « السمع » ، والبعض يرفضون فكرها ليس لأنه ضد الدين ، ولكن ضد السلطة الحاكمة . وهذه كلها طرق لا تؤدى إلى الحكم على أهلية وقدرات وكفاءة الإنسان بشكل صحيح .

إن الحكم الموضوعى الذى يتصف بالعقلانية والذى يجب احترامه ، هو الحكم على أهلية الإنسان من خلال أفكاره ، وآرائه ، والتى طرحتها د. نوال فى أكثر من أربعين كتاباً . كلها تحرض على الإبداع والتمرد على كل ما هو بالى ومتناقض فى مجتمعنا ، فقد كشفت عن الإزدواجية الأخلاقية التى نعيشها على كل المستويات السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية . وتبنت قضية المرأة ، ودافعت عن حقوق الإنسان . وربطت بين القهر السياسى ، والقهر الجنسى ، والقهر الاقتصادى ، وأوضحت الفساد فى الأسرة العربية ، بسبب عدم العدالة بين الزوج والزوجة .

بنظرة سريعة يمكن أن تقف على صلب أفكارها ، من خلال برنامجها

الانتخابى والتى تدعو فيه إلى أن تقوم فلسفة التعليم على الجدل ، وحرية النقاش ، وكسر الحواجز أو القيود على العقل ، وتشجيع الإبداع فى كل الأمور ، وربط روافد الفكر ، ومجالات الحياة العامة والخاصة ، بحيث تصبح الرؤية شاملة . وكذلك تغيير فلسفة الحكم لتصبح لامركزية متجددة ، وليست هرمية ثابتة يجلس على قمتها فرد واحد معصوم وشبه مقدس ، وتطبيق قانون من أين لك هذا ؟ وتكون جميع المناصب بالانتخاب الحر ، أيضاً إلغاء جميع القوانين والتشريعات التى تفرق بين المواطنين على أساس النوع أو الجنس أو الدين أو الطبقة أو الحزب أو العائلة أو النفوذ فى أى مجال . وفصل الدين عن جميع القوانين بما فيها قانون الأحوال الشخصية . كما دعت إلى إلغاء جميع القوانين المقيدة للحريات ، ومنها قانون الطوارئ . وتحرير الاقتصاد المصرى من قبضة الاستعمار الجديد سواء كان أمريكياً أو أوروبياً أو إسرائيلياً ، وتشجيع الإنتاج الزراعى والصناعى المصرى لخدمة حاجات الناس . وأخيرًا التضامن مع الحركات الشعبية فى بلاد العالم المناهضة للحرب ، والعولمة الاستغلالية .

هذه هى بعض أفكار د. نوال السعداوى ، فليؤيدها أو يرفضها من يريد ، ولكن الرفض يجب أن يستند على أرضية موضوعية عقلانية ، مدنية ، وليس من منطلق دين ، له مقدسات وثوابت يُحرم الاقتراب منها ، وحولها يختلف المنتمون للدين الواحد . إن مثل هذه المزايدات على التدين ، والوطنية ، لهى من الأسباب الرئيسية لتخلفنا العام .

وإن إعلان الدكتورة نوال للترشيح لهذا المنصب ، ليس غايته الوصول إلى منصب الرئاسة - كما صرحت - ، فهى لا تطمح لذلك ، ولكن هى محاولة لتحريك المياه الراكدة ، وإحداث حوار سياسى ، وفكرى ، لتنشيط الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ، التى تعانى من الجمود والسلبية واليأس ، وبهدف نزع الخوف من النفوس ، ولكسر حائط الصمت الذى يلف حياتنا السياسية .

●■■■●

٢٣ - تجربة رجل فى مجتمع ذكورى يقهر النساء

■ فى صباح أحد أيام الشتاء ، شعرت الأم بالمخاض ، لقد حانت اللحظة الحرجة والحاسمة . منذ اكتشافها للحمل وسؤال واحد يلح عليها يزورها فى اليقظة وفى المنام ، تحاول إبعاده وإزاحته عن عقلها ، مرات ومرات تحاول التهرب منه ولكنه يصر على ملاحقتها ومهاجمتها .. ماذا لو كان المولود بنتاً ؟ قالت لها ابنتها الكبرى وهى فى حالة انفعال وغضب : لو كان المولود بنتاً فأنت لا تستحقين الحياة .. شعرت الأم بالدوار ، سقطت مغشياً عليها ، أفاقت بعد وقت قصير ، تحسست جسدها ، أدركت أنها مازالت حية ، ارتعشت .. انقبضت ملامح وجهها ، وراحت فى نوبة بكاء طويل . ستة بنات ليس بينهم ولد واحد .. هل هو عقاب من الله على ذنب لم تفعله .. هل هو عيب أو نقص فيها يجعلها تلد الإناث دون الذكور .

ابنتها تفضل لها الموت على أن تلد أنثى ! فماذا عن الزوج ؟! ، وماذا عن الأقارب والجيران وأهل القرية جميعاً ؟! . إنها تغرق فى بحر من الخوف ، تأخذها أمواجه وتقذف بها نحو القاع .. تحتاج إلى إنقاذ ، لا أحد يستطيع انتشالها من هوة السقوط .. لا الدعوات إلى الله ولا الإنسان ولا الملائكة ولا الشيطان يستطيع إنقاذها ، الكل يقف عاجزًا مقيدًا ، فقط ذلك القادم المنتظر ، القادم الذى يتلهفون إلى رؤيته ، ويشتاقون إلى لمسه والتبرك بحضرته . انكشفت اللحظة الحاسمة ، تبدد

الظلام ، أطلت الشمس برأسها .. كانت على موعد من إطلالة رأس الوليد المخلص المنتظر « الذكر » الذى هو أنا .

هذه القصة كانت تحكيها لى أمى من حين لآخر كى تشعرنى بالتميز : تأملوا معى ماذا فعلت بقدومى إلى الحياة ؟ آسف لم أحسن التعبير ، سأعيد صياغة السؤال ، ماذا فعل جنسى « الذكرى » عند قدومى إلى هذه الحياة ؟

أثبت براءة أمى من وصمة عار إنجاب الإناث .

حقق حلم الأب فى وجود طفل « ذكر » ، يفترض أنه سيفتخر به أمام الناس ، يمد نسله ، ويحيى سيرته ، وبعد الموت يرثه ويأخذ العزاء ، لن يكون أبى بعد ذلك شجرة بلا فروع .

أنقذ أمى من ألسنة الناس ، وبدل من الجو العام للحدث ، فبدلاً من أن يكون هذا الجو محزناً ومحبطاً تحول بقدرة قادر إلى الفرح والسرور .

عندما كبرت وأصبحت أعى ، أدركت أن مولدى كان حدثاً ذكورياً ، ومع أن هذا الحدث قد يفتح لى باب التميز على مصراعيه ، إلا أننى لم أشعر بسعادة لهذا التميز . ببساطة لأن تميزى لا يعود إلى أفعالى التى أقوم بها بإرادتى الحرة الواعية ، لا يرجع إلى ماهية شخصيتى بكل ما حققت من نجاح أو فشل نتيجة تفاعلى مع هذه الحياة ، وإنما يرجع إلى جنسى .. يرجع إلى كونى ذكرًا وليس أنثى . إنه تميز زائف وليس حقيقياً . كيف أسعد بشىء لم أختاره ؟ ، وكذلك أخواتى البنات لماذا ينظر إليهن على أنهن أدنى منى على شىء لم يخترنه . لماذا تكون الذكورة

مدعاة للفخر ، والأنوثة مدعاة للفضيحة والخجل . إنه منطق المجتمع الذكورى الذى يفرق بين الأخ وأخته ، بين الزوج وزوجته ، بين المرأة والرجل .

وأنا تلميذ فى المدرسة الابتدائية كنت الاحظ أن زملائى يخجلون من ذكر أسماء أمهاتهم ، فيتكتمون عليه ويخفونه ولا يفعلون ذلك عند ذكر اسم الأب ، وكنت أخجل مثلهم ، ولم أكن أعرف لماذا ؟ لكننى كنت أتساءل لماذا أخجل من اسم أمى وهى لا تقل عن أبى ، ولا أرى فيها أى عيب يدعونى إلى هذا الخجل ! .

منذ الصغر كنت أرى أزواجاً يضربون زوجاتهم ، وكثيرًا ما تسلل إلى سمعى - من البيوت المجاورة - صراخ زوجات يُضربن ، بعض أخواتى كن يتعرضن أيضاً للضرب ، كنت أرى السحجات والجروح ظاهرة على وجوههن وأجسادهن ، كان أهل الزوجة يتغاضون عن هذا العنف ، ودائماً ما يغفرون للزوج فعلته ، وقد تدان الزوجة فى أغلب الأحيان .

لاحظت أن أغلب أشكال السباب والشتائم تدور حول جسد المرأة ، وخاصة ما يتعلق بأعضائها الجنسية . وتساءلت لما هذا الهوس بجسد المرأة ، لما التحقير بجسدها وبأعضائها ، والرجال فى مجتمعاتنا الذكورية يتهافتون ويسيل لعابهم على هذا الجسد .

عندما كبرت وأصبحت أعى أدركت مدى الظلم الواقع على المرأة منذ الميلاد وحتى الموت .. تجسدت أمامى كل أشكال التفرقة التى صنعها المجتمع الذكورى ، تفرقة تقوم على الإزدواجية الأخلاقية والقهر والخوف

والكبت والكذب وغياب الحرية .. لقد أدركت أننى أعيش فى المكان الخطأ حيث المسرح اليومى لرواية ذكورية أبطالها السادة الرجال ، أما النساء فأدوارهن هامشية .. أدركت أننى أعيش مع الناس الخطأ - رجالاً ونساءً - حيث تعشش فى عقولهم هذه الأفكار الذكورية ويسلكون وفقاً لها منذ اليقظة وحتى المنام ، منذ الميلاد وحتى الموت .. ويتآلفون ويتعايشون معها كأنها من الثوابت التى لا يجب المساس بها .. دائماً كنت أشعر بالاندهاش حينما أرى أغلب النساء يستدمجن ويدافعن عن هذه القيم الذكورية .. لم أعد أنخدع بنساء يتقلدن أعلى المناصب ، فلو فتشت فى رؤسهن لوجدتهن ذكوريين أكثر من الرجال أنفسهم .

إنه بالرغم من سيادة القيم الذكورية فى مجتمعنا ، إلا أن هناك من ينكر وجودها . من أجل ذلك آثرت أن أعدد بعض هذه السلوكيات التى تكشف عن بعض القيم التى يتبناها هذا المجتمع :

- الرجل الذى يقيم شرف المرأة ليس بصدقها ولكن بامتلاكها لغشاء البكارة .

- الرجل الذى يعتقد بأن المرأة خلقت بطبيعتها لأعمال المنزل أما هو فللعمل .

- الرجل الذى يؤمن بقوامته على المرأة لمجرد أنه ينفق .

- افتخار الرجل بعلاقاته الجنسية قبل الزواج وعدم قبوله بل رفضه الزواج من أى امرأة يعرف أنها فعلت نفس السلوك الذى فعله .

- تفضيل الرجل للزواج بامرأة أقل وأدنى منه ، وهروبه من المرأة التى تكون ندًا له فى المنصب والطموح .

- الرجل الذى يتباهى بعلاقاته مع نساء يصفهن بالمتحررات ، وعندما يقرر الزواج يختار امرأة مطيعة وخاضعة .

- الزواج حينما يتحول إلى شكل من أشكال الدعارة المقنعة .

- التسامح فى حالة خيانة الزوج لزوجته ووصفها بالنزوة ، أما خيانة المرأة لزوجها فهى الجريمة التى لا تغتفر والتى تستحق عليها القتل .

- المجتمع الذى ينصب من البواب وكيلاً له لمراقبة الرجال والنساء فى حياتهم الخاصة .

- إدانة المجتمع للنساء المطلقات ، والمرأة التى لم تتزوج ووصفها بالعانس أو « البيت الوقف » .

- الإيمان بأن جسد المرأة عورة لذا يجب تغطيته وستره خوفاً من إثارة الرجال وفتنتهم .

إن المجتمع الذى تترسخ فى عقل رجاله ونسائه هذه القيم هو مجتمع مريض يقهر المرأة ويشوه صورة الرجل ، فالقاهر والمقهور كلاهما مريض يحتاج إلى علاج .

قيم مزيفة .. قيم تنال من إنسانية الإنسان .. كيف أسمح لنفسى أن أكون أنا الواجهة والمرأة هى الخلفية ، أنا الرأى وهى الصدى ، أنا

القوام وهى المطيعة ، أنا القائد وهى التابعة ، أنا الأقرب للكمال وهى الناقصة .

لأننى أحترم عقلى .. لأننى أنحاز إلى إنسانيتى .. كان رفضى وتمردى على هذا العالم الذكورى أملاً فى البحث عن عالم آخر بديل تسوده قيم إنسانية يتساوى فيه كل من النساء والرجال .

●■■■●

الشيوخ المودرن
وصناعة التطرف الدينى

■ فى هذا الكتاب ، يفصح المؤلف عن كيف أصبح الدين تجارة واستثمارا (بيزنس) مربحا ، تموله منظمات وأفراد فى الداخل والخارج ، وكيف أصبح ستارا تلتحف به التيارات والجماعات الإسلامية ذات التوجه الإرهابى ، للقفز على كرسى الحكم والسيطرة .



- د. محمد فتوح .
- دكتوراه وماجستير